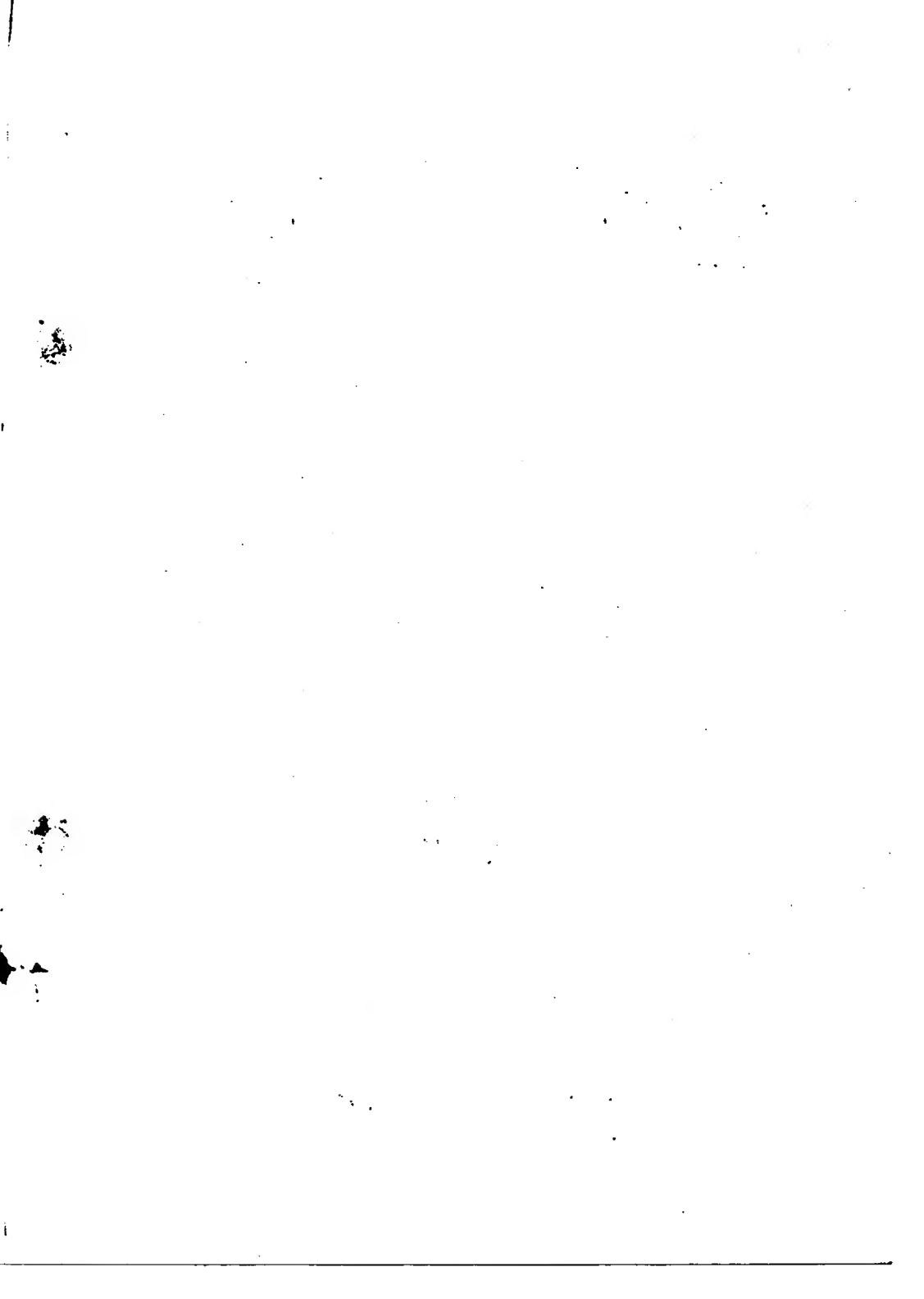


المدرسة الأدبية في البحر

دكتورة سميرة بحر

١٩٨٢

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية



اهــدء

الى زوجى

الذى يرافقتى رحلة الحياة

رقم الايداع ٥٢٠٦ / ٨٢

الرقم الدولي ٨ - ٠٠٦٥ - ٠٥ - ٩٧٧

استهلال

إن دراسة موضوع الأقليات في أى مجتمع دراسة منهجية ،
تصطدم بمسألة صعوبات . فهى غالبا ما تكون حساسة بالفسبة
للسكانب ، سواء أكان يفتى إلى الأقلية فى مجتمعه أو إلى الأكرية
وبخاصة فى المجتمعات الغامية وحديثة الاستقلال ، حيث يعلو نداء
الوحدة الوطنية على كل صوت آخر ، بل يدفع حماس القادة والمجاهير
معا إلى عدم تشجيع مثل هذه الدراسات . ولكن كلما نمت مفاهيم
المجتمع وتطور من مراحل الفشاة والمراقبة إلى مدارك الفطنة والعقلانية
فى معالجة شؤونه ، ابتعد عن اندفاعات العاطفة وحساسياتها ، وتناول
أمره ومشاكلة فى جرأة واعية ودراسات دقيقة ترتكز على المعالجة
العلمية كيفاً وكما .

ولعل فى هذه الحساسيات سببا فى قلة ما كتب عن الأقليات
نسبيا فى مجتمعاتها ليس فى اللغة العربية وحسب ، بل وفى اللغات
الأوربية كذلك . كما يجب ملاحظة أن كثيرين ممن أولوا هذا
الموضوع عنايتهم كانوا من الباحثين المفتين إلى الأقلية اليهودية .



ولم يتورع بعضهم عن الإتيان بأراء مشبوهة ، وبخاصة عقد معالجة مشكلات الأقليات اليهودية في بمرتها وانقشارها في أرجاء العالم المختلفة ، أو في معالجة مشكلات الأقليات الزنجية في الولايات المتحدة الأمريكية بطريقة سياسية غامضة تنزع إلى الكسب الدعائي لأصوات أقليات من الممكن أن تتعاطف معهم - ولو مظهريا - لكسب الرأي العام العالمي والأمريكي لنصرة دعاوى الإستهيطان الصهيوني في الشرق الأوسط ، أو الغزو الاقتصادي لبلاد أفريقيا الجديدة وجنوب شرق آسيا .

ولقلة المعلومات الجادة والدراسات الأصلية في هذا الميدان نجد أنه من الصعب استخدام هذا القدر من المعلومات المتاحة لتنظيم علاقات مترابطة في تسلسل علمي منطقي ، تسكفي لإستقباط تميمات قابلة للاعتبار ، في سبيل الوصول إلى نظريات مقننة علميا ، بحيث يعتمد عليها في النهاية للوصول إلى قدرة على التوقع المحسوب .

وعالم اللغة العربية في حاجة إلى دراسات علمية جادة في هذا المجال ، سواء نظرنا إليه في مساحته للممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي حيث أقليات دينية ، ودعاوى عنصرية ، واختلاف في اللهجات يصل إلى درجة تميزات لغوية ، فاهيك عن فروق حضارية

ضخمة تسبب شعوراً بالعظمة والاستعلاء عند البعض وشعوراً بالإحباط عند البعض الآخر . بل أن اكتشافات البترول عند بعض الأقليات العددية في العالم الفاطن بالعربية قد خلقت حالات جديدة في علاقات القوى لمفظة توزعت فيها مراكز الحضارة ومنابعها في غير مواقع الثروة المادية . ثم كانت الهجرات اليهودية إلى المنطقة ممثلة لقلة عددية ودينية ، متممة بقدرات عسكرية وإعلامية . وباختصار ، تعبر منطقة عالم اللغة العربية هذه كنفراً للباحثين في علاقات الأقليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هوما . وتسكنى نظرة إلى لبنان ليشهد الإنسان أكثر من دعوة لدراسة نظام سياسي يقوم على توازن القوى بين أقليات مسيحية متنوعة وإسلامية ودرزية ، وإلى العراق حيث العرب والأكراد والسنية والشيعية ، وما يفضوى تحت كل منها من تقريعات وتقسيمات تضاد وتصارع كما تقنافر الجزئيات الموجبة مع الجزئيات السالبة داخل قضيب حديدى ممغط واحد .

وكل ما يحدونا من أمل في دراسنا هذه هو التوصل إلى منهج مدروس للبحث في موضوع الأقليات عامة ، وما يتخلل المجتمع العربي من أقليات بصفه خاصة . ويتطلب مثل هذا المنهج قدرة على

التجربة والاختبار ، تعين على تقييم ما يقدم من شروح وصفية وسببية
لبعض ظواهر سلوك الأقليات في مجتمعاتهم حيال الأكثرية من
جانب ، ومدى تحملهم أو تفهمهم لتصرفات تلك الأكثرية
وسلوكلها من جانب آخر .

والله ولي العرفيق

د . سميرة بمر

يناير ١٩٨٢

تقدمة

تعريف الاقليات

من الصعوبة بمكان وضع تعريف محدد ثابت لأنواع الجماعات التي يفترض أنها أقليات ، وذلك لعدة أسباب :

١ — أن الأقليات تختلف تبعاً لاختلاف المفاهيم التي تحسب أقصائها أو عزلتها ، وتبعاً لعلاقاتها بالجماعات المسيطرة في المجتمع الذي تعيش بداخله ، وأيضاً تبعاً لمدى استعجاباتها للأوضاع القائمة في ذلك المجتمع . ولهذا ، فإن دراسة الأقليات الإثنية^(١) تختلف عند دراستها باختلاف أسباب أقصائها أو استبعادها نقيجة العرق ، أو الدين ، أو القومية ، أو الثقافة .

(١) الجماعة الإثنية هي جماعة بشرية تشترك في خصائص ثقافية معينة مثل اللغة أو الدين كالجنس الفرنسي أو الجنس اليهودي ، وهي تختلف عن الجماعات الأخرى التي تقوم على خصائص عضوية طبيعية غير قابلة للتغير ، وترتبط تلك الخصائص ارتباطاً جوهرياً بالقدرات أو الكفاءات الذهنية أو الفعلية وغيرها من القدرات غير العضوية التي يمكن تحديدها اجتماعياً على أساس محلي .

٢ — أن العلاقة الثابتة بين جماعات الأكرية وجماعات الأقلية
تتأثر بعدد من المتغيرات :

(١) إذ يختلف الوضع الذى توجد فيه أقلية واحدة عن الوضع
الذى توجد فيه أقليات متعددة فى مجتمع واحد . فبينما تواجه الأقلية
الواحدة كل أنواع القلق والإحباط ، وتصبح هدفا لكل أنواع القوة
من جانب الجماعة المسيطرة ، يستطيع الفرد - حيث يوجد العديد من
الأقليات ، كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية - أن يهرب
بسهولة نسبية من مركزه الحالى وأن يترقى إلى أعلى . وبالإضافة إلى
ذلك ، فإنه فى حالة وجود أقليات متعددة ، قد يحدث أن تقوم جماعة
الأغلبية بالإيقاع بين أقلية وأخرى ، مما يؤثر على أسلوب تعامل كل
أقلية تجاه الأخرى .

(ب) يعد اختلاف درجة الثقافة واللغة والعرق عاملا آخر .
فكلما زادت حدة هذه الاختلافات ، اتجه الوضع القائم إلى الجمود .

٣ — إن الاهتمام بتحليل التفاعل بين الأكرية والأقلية يؤدي
بالتبعية إلى الاهتمام بالآثار المختلفة لأنواع البنين الاجتماعى السكانية ،
وعلى سبيل المثال :

(أ) تتطور العلاقات العنصرية في مجتمع قائم على المنافسة (أى مجتمع حضري صناعي كبير العدد متفوع الطبقات يقوم على أيديولوجية المجتمع الحر الديمقراطي المفتوح) بشكل مختلف عن تطورها في مجتمع يقوم على النظام الأبوي Paternalistic (أى مجتمع يقوم اقتصاده على الزراعة وتقسيم العمل على أسس عنصرية ، وتكون الجماعة المسيطرة فيه قليلة العدد) .

(ب) تتطور العلاقات العنصرية بطريقة مختلفة باختلاف أشكال الاستعمار وأصاليه المتقوعه .

(ج) يختلف تطور العلاقات العنصرية في المجتمعات التي تقوم على الهجرة عن تلك المجتمعات التي يكون فيها السكان الوطنيون هم العنصر الغالب كما وكيفاً^(١)

ومع اختلاف الأسس التي تقوم عليها أقليات منفصلة أو

(١) لمزيد من الدراسة ، راجع على وجه الخصوص :

— Blue Jr., John, "Patterns of Racial Stratification : A Categorical Typology", Phylon, Winter, 1959, pp. 364-371.

— Berghe, Pierre Vanden, "Dynamics of Racial Prejudice", Social Forces CSF), Dec., 1958, pp. 141.

— Lieberman, Stanley, "A Social Theory of Race and Ethnic Relation", American Sociological Review (ASR).

مستبعدة أو منموزلة - كالاختلافات فى الأصول العرقية بجنوب أفريقيا وروديسيا ، والاختلافات الدينية بالهند ، والاختلافات القومية بقبرص وكندا ، والاختلافات اللغوية فى بلجيكا - على سبيل المثال - مختلف تعريفات الأقلية :

ويرى لويس ويرث Wirth, L. ، أن الأقلية هى جماعة من الناس تفصل عن بقية أفراد المجتمع بصورة ما ، نتيجة خصائص عضوية أو ثقافية ، تعيش فى مجتمعها فى ظل معاملة مختلفة غير متساوية مع بقية أفراد المجتمع . ومن ثم ، ترى هذه الجماعة نفسها عرضة للتمييز discrimination . وطبقا لهذا الرأى ، فإن وجود أقلية فى مجتمع ما يتضمن وجود جماعة مهيمنة - فى المقابل - ذات وضع اجتماعى أعلى وامتيازات أكبر . كما تجعل أوضاع الأقلية معها - طبقا لهذا الرأى - الحرمان من الاشتراك الكامل فى حياة المجتمع^(١) .

ويقصد بكلمة « أقلية » فى المجتمعات الأوروبية ، جماعة من

1. In Linton, Ralph (ed.) "The Science of Man in the World Crisis" (Colombia, 1945), p. 347.

الناس يعيشون على أرض احتلوها منذ زمن بعيد ، ولكنهم - مع تغير الحدود - أصبحوا خاضعين أو تابعين سياسيا لمجموعة أخرى . وتقاس مثل هذه الأقليات من الحرمان من الاستقلال السيامي^(١) ، نتيجة إحساسها بالتمييز في خصائصها الثقافية أو العرقية عن بقية أفراد كيان سياسي معين . وترفع الأقليات - نتيجة لهذا الشعور بالاختلاف - مطالب معينة سواء من أجل تحقيق المساواة مع الاكثرية ، أو من أجل تحقيق معاملة خاصة تقوم على الاعتراف بهذه الاختلافات ، أو من أجل الحصول على الحكم الذاتي ، أو - في أقصى الحالات تطرفا - من أجل تحقيق الانفصال .

ويقوم تعريف « اللجنة الفرعية للإلغاء وحماية الأقليات التابعة للأمم المتحدة^(٢) » على أساس أن الأقليات هي (جماعات) تابعة داخل شعب ما ، تتمتع بتقاليد وخصائص اثنية أو دينية أو لغوية معينة ، يختلف بشكل واضح عن تلك الموجودة لدى بقية السكان ، وترغب في دوام المحافظة عليها .

2. Sekermerhorn, Richard, "Minorities: Europe and American", phylon, Summer, 1959, p. 179.

1. Year Book On Human Rights for 1950 U.N. 1952, p. 490.

ويفترض كل من شارلس واجلى ومارفن هاريس^(١)
Wagley C. and Harris M. أن للأقليات صفات خمس هي :

١ — أنها أجزاء تابعة داخل مجتمع الدولة التي تفضوى تحت
لوائها .

٢ — أنها تتمتع بصفات عضوية وثقافية خاصة ، وتعتقد أن
الأجزاء المسيطرة في المجتمع الذي تعيش بداخله تحاول التقليل
من قيمتها .

٣ — حتى في حالة عدم وجود خصائص ثقافية أو بيولوجية
خاصة واقعية فإن العضوية داخل الأقليات تنقل بالوراثة عبر الأجيال .

٤ — تخلق السمات الخاصة المشتركة بين أفراد الأقليات نوعا
من الشعور بالفقص أو المعجز ، يؤدي إلى وجود نوع من الشعور
بالذات فيما بينهم .

٥ — يتجه أفراد الأقليات طوعية أو بالضرورة إلى التزاوج
الداخلي فيما بينهم .

2. Wagley, Charles and Harris, Marvin, "Minorities in the
New World" (Colombia, 1958), p. 10.

ويلاحظ أن القول بأن الأقلية هي الجماعة الصغيرة من الناس التي تعيش وسط جماعة أكبر ، فيه تبسيط شديد لسببين :

أولهما — أنه يمكن لشعوب ذات أجناس وقوميات وأديان ولغات مختلفة أن تعيش بين أجناس وقوميات وأديان أخرى لمدة أجيال دون أن تقوم بتحديد ذاتها كجماعات متميزة ، وسواء تم اندماج هذه الشعوب أو انصهارها أو لم يتم . فالأقلية هي أقلية ، نتيجة لمجموعة من الاتجاهات النفسية والتصرفات العملية من جانبها أو من جانب الأكرية ، وعادة من جانب كليهما معا .

والسبب الثاني — أن الأعداد أو الأرقام داخل جماعة الأقلية وخارجها لا تحدد أهمية هذه الجماعة . فمثلا يعتبر الزنوج جماعات أقلية في مفاطق المسيسيبي وألاباما وكارولينا الجنوبية رغم أكثريتهم العددية بالنسبة لمجموع السكان ، كما أن البانتو — على الرغم من أنهم يكونون نحو ثمانين في المائة من سكان جنوب أفريقيا ، يعدون جماعة أقلية لأنهم يحتلون مراكز ثانوية . وبفاء على ذلك ، فإن لفظ «أكثرية» لا يعادل الجماعة «السيطرة» بمعنى القوة أو النفوذ أو السطوة ، كما

أن لفظ « أقلية » لا يعنى جماعة (تابعة) بصفة مطلقة . إلا أن هذا لا يعنى الدور الذى يلعبه الحجم العددي فى الصراع للحصول على السلطة بين الجماعات الإثنية . ولذلك فليس من المستبعد أن تكون الجماعات الأصغر عدداً فى معظم المجتمعات أقلية من الناحية النفسية فى واقع الأمر ، وأن تكون الجماعات الأكبر من الناحية العددية فى العادة هى الجماعات المسيطرة ، مع عدم إغفال التحفظ السابق ذكره ، وهو أن السلطة الاجتماعية لا تعتمد على متغير الكم وحده ، وإنما هناك متغيرات أخرى مثل القوة العسكرية ، والمهارة التنظيمية ، والزعامة ، والموارد ، والتعليم إلخ . . فهذه كلها يمكنها أن تغير من وزن القوة العددية بحيث تصبح الأغلبية العددية أقلية من الناحية النفسية ، وتصبح الأقلية العددية أغلبية من الناحية النفسية أيضاً .

ويتسم وضع أعضاء جماعة الأقلية — كأفراد — بطبيعة طبقية تقبل التقسيم أو الإنقسام إلى درجات . بل أن العضوية فى جماعة الأكثرية أو الأقلية لا تمنع للء من شغل المراكز الخاصة بكل من الأغلبية والأقلية فى آن معا . وعلى سبيل المثال ، يعتبر زفوج أمريكا أقلية عرقية ، ولكنهم فى ذات الوقت يتمتعون ببعض

خصائص البيض من حيث كونهم بروتستانت أمريكي الجنسية ،
ناطقين بالإنجليزية ، متحضرين . ولهذا ، فإنهم يشاركون إلى حد
كبير في اتجاهات الجماعات المسيطرة وسلوكها من حيث العداء
للسامية والكاثوليك واللاتين والأجانب بالمولد وغير الناطقين
بالإنجليزية في المجتمع الأمريكي .

الفصل الأول

المفاهيم الخاصة

بالعلاقات بين الأكرية والأقلية

المبحث الأول

التعامل Prejudice :

اهتمت معظم الدراسات عن التعامل باتجاهات الأكرية أو الجماعات المسيطرة ذات السيادة دون إسباغ الإهتمام الكافي على تفهم أوضاع الأقلية . وربما كان مرجع ذلك الافتراض المعتاد بأن ما ينطبق على الأكرية من تفسيرات ، ينطبق أيضا على الأقلية وعلى سلوكها . والواقع أن العلاقات المداخلية لفهوم التعامل تشمل معاملات متعددة مثل : القلق Anxiety ، والتزمت أو الجمود rigidity ، والمحافظة conservatism ، والتقليدية conventionalism . كما تشمل على خلفيات كالتعليم ، والمهنة ، والدين ، ودرجة المرونة الاجتماعية ، والبيئة . ولكن كثيرا من هذه المعاملات يتداخل مع بعضه البعض ، بحيث يصعب التمييز فيما بينها وفصلها حتى يمكن للباحث أن يتقبع علاقات سببية للظاهرة موضوع دراسته ، ومن ثم يكون

الاتفاق على مدى صلاحية نموذج سلوكي ما لدراسة تلك المعاملات والمتغيرات أمراً غير ميسور^(١).

فهناك - مثلاً - دراسات ذات كفاءة محدودة تعالج موضوع التعامل. وهناك عدد محدود من الاختبارات لقياس بعض التعميمات والفرضيات التي تحاول تجاوز مرحلة الدراسة الوصفية وجداول التصنيف إلى ربط المتغيرات ببعضها. وقد ظهرت - نتيجة لذلك - عدة دراسات جادة ومفيدة، وإن كانت نتائج بعضها قد تتضارب مع البعض الآخر. على أنه إذا أمكن بمساعدة علماء النفس التوصل إلى تسكين مقياس موحد أو اثنين تغلخص فيهما مزايا المقاييس الكثيرة للانجاء النفسي^(٢)، وتقل فيها على قدر الإمكان مواطن

1. Blalock, J.R. Hurbert M., "Towards A Theory of Minority group Relations" (New York, London, Sidney : John Wiley and Sons, Inc., 1967), p. 2.

(٢) كثال لهذه الدراسات التي أجراها فورتياوس وبيجر على الارتباطات بين تغيرات الانجاء النفسية. وقد عالجت هذه الدراسة متغيرات كثيرة مترابطة ذات علاقة بالنمصب. وتعتبر هذه الدراسة عند الانجاء النفسي الذي يتخذ من معاملات الوحدات الجزئية منطلقاً لتبريد الظواهر الاجتماعية. يلاحظ في هذه الدراسة أن التسلسل أكثر ارتباطاً بالنمصب من أي متغير آخر. وعلى هذا يمكن عمل سلسلة من الدراسات والارتباطات الجزئية يفترض فيها مثلاً. أن التسلسل يؤدي إلى اتجاهات نفسية غير اجتماعية انطوائية يؤدي إلى احتجاج وربما يصل إلى حد الثورية في المجتمعات ذات الثقافات المتقدمة.

الزوال والضعف ، أمـسكن التوصل إلى نتائج أكثر دقة ، وما يترتب على ذلك من إغفال بعض الأبعاد التي لا ترتبط مباشرة بموضوع البحث ، والاتجاه تدريجياً نحو الدراسات الاجتماعية ودراسة موضوعات الظواهر السياسية بالذات التي طال مقامها في مجالات الوصف التاريخي .

وقد قام سيمبسون وينجر Simpson and Yinger بتعريف التحامل أو الحكم السابق على أساس أنه « اتجاه عاطفي جامد (أو ميل مسبق للاستجابة لمنبهات أو مشيرات معينة بطريقة معينة) حيال جماعة من الناس يتم تقسيمهم أو تصنيفهم داخل مصفوفات محددة ، رغم ضالة التشابه أو التفاعل بينهم»^(١) .

ويتضمن التحامل - طبقاً لهذا التعريف - عنصر القصر في الحكم (الحكم المسبق prejudgetment) ، ولكن الاتجاه المتعامل

-
1. Simpson, George Eaton and Yinger, Milton, "Racial and Cultural Minorities" (New York and London : Evanston, 1965), p. 10.

له صفة عاطفية أو إنفعالية لا توجد في أنواع الاتجاهات الأخرى .
وقد أكد عدد من الكتاب على هذه الخصيصة التي يتصف بها
التحامل . فقد أكد أوجبورن Ogburn W.F. أن التحامل ينتقى
بعض الوقائع ليركز عليها متعاميا تماما عن حقائق أخرى . كذلك
أوضح ليبمان Lippman, Walter في تحليله لأنواع التقليد أو
المحاكاة أو ما أسماه بالسلوك النمطي stereotypes كيف يدفع التحامل
بصاحبه إلى النظر إلى جميع أفراد جماعة معينة كما لو كانوا متماثلين
جميعا تماما .

ونتيجة للصفة العاطفية التي تتميز بها الاتجاهات المقسمة
بالتحامل ، فإن هذه الاتجاهات تتميز بالتالي بصفة عدم القدرة على
التكيف . وبذلك يتلخص التحامل في أنه اتجاه عاطفي جامد نحو
جماعة معينة من الناس . ويمكن إضافة صفة ثالثة للتحامل ، وهي
سوء الحكم misjudgment ، بمعنى التفكير القاطع الذي يسمى تفسير
الحقائق ، أو سوء الحكم على أفراد جماعة معينة بطريقة افتراضية
محضة^(١) . وبأخذ جوردون ألپورت Alport G. رأى مشابه حيث

1. Vickery, William & Opler, Morris, "A Redefinition of prejudice for purposes of social science research, HR, 1948, Vol. 1, pp. 419-428.

يقرر أن صاحب الاتجاه المتسرع الحكم ، المقشدد غير المرن - لدرجة تشويه أو تحريف المبادئ، والأحكام العامة - يقد شخصا متحاملا .
ولسكنه يذكر أن الأحكام المسبقة تصبح نقط نوعا من التحامل عندما لا يتم العدول عنها عند التعرض لمعرفة جديدة . ومثل هذا المميّار للتحامل يبدو غير واقعي . فع صموية التخلّص من التحامل بالحصول على خبرات جديدة ، يصبح من غير الممكن إقراض أنه مع إنتهاء التحامل نتيجة معرفة جديدة ، لا يعدو الموقف الجديد تحاملا فعليا بدوره مرة أخرى^(١) .

ويميز روبين وليامز William, R. بين أنواع التحامل القائمة على اختلافات وظيفية في النظام الاجتماعي واختلافات فعلية في القيم ، وبين أنواع التحامل التي تؤكد على أنماط تركّز على رمز معين مثل لون البشرة ، وليس لها أهمية وظيفية معينة . وبفاء على التمييز ، يكون تحامل الشخص الذي يمتدحراطى ضد الشيوعى أو الفاشيستى مختلف الشكل عن تحامله ضد اليابانى ، وهو تحامل - وإن لم يكن مختلفا تماما - إلا أنه يكفى للبحث فى التمييز بين أنواع التحامل المختلفة ، وقد بنى

1. Alport, Grodon W., "The Nature of Prejudice", Readings Mass : Addison Wasley, 1954, p. 9.

وليأمر اختلافاته على أساس تحليل أسباب التعامل ووظائفه ، وهو أمر ضرورى لفهم هذه الظاهرة والتحكم فيها . لذلك وجب أن يعكس التحليل والتعريف اللفظى لهذه الظاهرة ذلك التنوع (من حيث كونه معتدلا أو عقيفا ، وهل هو تعامل ضد مجموعات لا يكون للشخص المتعامل علاقة شخصية معها أم أن بينه وبينها علاقات واسعة ودائمة ، وهل هو تعامل قومى ضد كل غريب أو مختلف أو أجنبي أم هو تعامل ضد سكان البلاد ذات مستويات المعيشة المرتفعة ، وهل هو تعامل يقوم على محاولة التوافق والتكيف مع العادات الاجتماعية للجماعة موضع التعامل أم هو تعامل مرتبط بحاجات عدوانية عميقة فى النفس تظهر بالحاح نقيجة ضغوط الجماعة ، وهو هو تعامل يهدف إلى تحقيق فرص إنقهازية إقتصادية أو سياسية أم هو تعصب fanaticism مرجعه الغيرة الدينية أو الحضارية ، وهل هو تعامل خاص بفكرة خاصة تتعلق بجماعة معينة أم هو تعامل يعبر عن نفور عام يشمل جميع الجماعات الخارجية ، وحتى التعامل الذى ينشأ أساسا عن حاجات نفسية فردية يختلف : فهل يرجع إلى كراهية دفيغة ، أو مبروات مستترة لدى الفرد أو لتدعيم الذات ، أو الشعور بالتقدير

لشخص المتحامل ، أو دفاعا عن دوافع جنسية مكبوتة أو كوسيلة
لإكتساب موافقة الجماعة . . الخ^(١) .

ويفضل بعض الكتاب التمييز بين الاختلافات المرتبطة بظاهرة
التحامل عن طريق استعمال مصطلحات أو تعبيرات مختلفة بدلا من
فرض نماذج أو درجات للتحامل ، فيميز أكيومان وجوهادا - على
سبيل المثال - بين السلوك المتحامل والسلوك النمطي على أساس أن
التحامل يمكن أن يطلق على التعميم القاطع القائم على معلومات غير
كافية وبدون اهتمام مناسب بالاختلافات الفردية ، أما السلوك النمطي
فإنه يتميز عن التسرع في الحكم الذي تمتاز به ظاهرة التحامل بوجود
درجة أكبر من الثبات والجمود ، هذا وجه اختلاف ، وهماك
اختلاف آخر هو أن الحكم السابق يتسكون عفدما لا تتوافر
الحقائق بدرجة كافية ، بينما النموذج النمطي يبدي القليل من الاهتمام
بالحقائق حتى وإن كانت متوافرة

على أن التحامل يكون أقل وضوحا من الحكم السابق من

-
1. William, Robin Jr., "The Reduction of Inter-group Tensions", The Social Science Research Council (SSRC), 1947, pp. 37-38.

فأحية ، ويستخدم السلوك النطى من فاحية أخرى ، ولكن لا يمكن أن يميز بأحدهما . وفى المعنى النفسى ، يكون التحامل شكلا من الأشكال العدائية فى العلاقات بين الأفراد بوجه ضد جماعة داخل الوطن أو ضد أفراد هذه الجماعة ، ويحقق لصاحبه وظيفة معينة تقسم بعدم الاعتلائية وعدم السمو . ولعل هذه الجملة الأخيرة هى التى تسترعى الانتباه ، لأنها تربط معنى التحامل ربطا أدق من معظم التعريفات السابقة بعوامل الشخصية غير الرشيدة أو غير الفاضحة . وقد قام المؤلفان أ كيرمان وجوهادا بتطبيق تعريفهما هذا على دراسة خاصة بالعداء للسامية^(١) .

على أن أوليفر كوكس Cox, O. قدم تفسيراً مغايراً تماماً للعلاقة بين التحامل والعداء للسامية ، إذ يرى أن العوامل الأساسية فى تحديد العلاقات داخل الجماعة هى عوامل اقتصادية . كما انصب اهتمامه أساساً على العلاقات العرقية . ومن هنا استخدم اصطلاح « التحامل » للإشارة إلى المواقف أو الأوضاع التى تسهل تطبيق التفسير الإقتصادي على الأقليات المنصرية أو العرقية .

1. Ackerman, Nathan & Johada, Morie, "Anti-Semetism and Emotional Disorder" (Haper & Row, 1950), pp. 3-4.

وعلى العكس من الكتاب السابقين ، يعلن كو كس أن العداء للسامية لا يعد تحاملا ، وإنما هو عدم تسامح إجتماعى يحدد إتجاهه على أساس أنه عدم إرادة أو عدم استعداد الجماعة السائدة للتسامح مع معتقدات وأنشطة الجماعة المخاضمة ، لأنها تعتقد أن هذه المعتقدات والأنشطة إما عدوان على إستقرارها أو تهديد لإستمرار الأوضاع الراهنة . ومن جانب آخر ، فإن التعامل القائم على العرق أو الأصل يعنى أن إتجاهها إجتماعيا ينتشر بين الناس باستغلال وصم جماعة ما بأنها وضيعة حتى يمكن تبرير استغلال أفرادها أو استغلال مواردها أو كليهما معا . ويعتبر الاضطهاد والاستغلال جانبان من جوانب السلوك غير المتسامح ، وبالتالي نوعا من التعامل العرقى — طبقا لهذا الرأى ، بمعنى أن التعامل القائم على العرق هو عملية ذات إتجاه إجتماعى لتسهيل خلق شكل خاص من أشكال إستغلال العمل ، بينما يعتبر عدم التسامح إتجاهها يعبر عن رد فعل مؤيد لنشاط المجتمع فى تطهير نفسه من الجماعات المعارضة له من الفاحية الثقافية^(١) .

1. Cox, Oliver G., "Caste, Class and Race" (Doubleday, 1948), p. 393.

على أنه إذا كان التفسير الإقتصادي يتضمن صورة هامة للعلاقات الخاصة بالأكثرية والأقلية فإن كوكس — في حماسه للتفسير الإقتصادي للسلوك الإنساني — قد خلط في أوجه التشابه بين الأشكال المختلفة لعلاقات الأكثرية مع الأقلية ، وبالع في تبسيط الأسباب المركبة ، وأنه نتيجة لهذا إنساق إلى نتائج غير واقعية بالغ في تبسيطها كقوله . (إن العداء للسامية هو موقف مباشر ضد اليهود لسكونهم يهود ، وإن التعصب العرقي هو إتجاه مباشر ضد الزوج لأنهم يرغبون في أن يصبحوا غير زوج) .

ويقدم سيمسون وينجر Simpson and Yinger تمييزاً أوضح لتعبيرى عدم التسامح والتحامل القائمين على العنصر أو العرق على أساس أن الجماعة غير المتسامحة ترحب بكل من التناقض والتماثل ، بينما الجماعة المتعاملة عنصرياً يتم استئارة عدوانيتها وخصومتها نتيجة محاولات الامتصاص assimilation أى أنها لا تقبل التماثل . ويعتبر الاضطهاد الدينى والسيطرة العنصرية حقيقتان إجتماعيتان مختلفتان تمام الاختلاف . وينتهى المؤلفان إلى أن تعبير التحامل — على وجه العموم — هو مجموع كل من التسرع الذى يفتقر إلى المرونة في إصدار الأحكام والحكم الخاطيء على الجماعات ، وأنه —

تبعاً لذلك — من الواجب أن يتم التركيز على الاختلافات
المقبولة لأنواع التعامل ودرجاته المتعددة .

المبحث الثاني

صراع الجماعة وتوترها :

قدم روبين وليامز بعداً آخر للعلاقة بين الأكثرية والاقلية ،
هو صراع الجماعة . ورأى أنه رغم إنصال جميع عناصر هذه العلاقة
إلتصالاً وثيقاً بالحياة الإجتماعية ، إلا أنها تتمايز بالتنوع البالغ الأهمية .
فقد يكون هناك قدر عظيم من التعامل — على سبيل المثال — في
النظام القائم على الطوائف ، ولكن مع وجود قدر من الصراع العنفي
أو الصريح . ومن ناحية أخرى ، فقد تؤدي الجهود من أجل تخفيف
حدة التعامل — على الأقل في المدى القصير — إلى زيادة الصراع ،
أو ربما تأخذ الجهود المبذولة لتجنب الصراع شكل نماذج
التعامل^(١) .

ولكن يمكن القول — بصفة عامة — أن صراع الجماعة

1. Williams, Robin Jr Op. Cit., p. 36.

يؤدى إلى زيادة التعامل . وأن احتمال حدوث الصراع قائم بصفة خاصة فى المجتمع المفتوح الطبقات Society open-class حيث تأمل الطبقات المحرومة فى تحسين أوضاعها ، وحيث توجد لدى الجماعة المسيطرة المخاوف ازاء تقدم الاقليات مع شعورها فى الوقت نفسه بحتمية هذا التقدم أو الارتقاء نحو طبقات أعلى مركزاً .

وتتأثر العلاقة بين التعامل من جانب والصراع من جانب آخر بالأوضاع الأخرى المشعركة فى المجتمع مثل مدى طاعة القوانين ، رفض الأجانب أو قبولهم ، وجود فرص عمل بديلة ، قوة السياسة الخارجية للدولة أوضاعها . ومهما يكن الامر ، فلا بد من صياغة مفاهيم خاصة بالصراع الإجتماعى تغاير المفاهيم الخاصة بالتعامل ، وبخاصة وأن هذا البعد لم يأخذ بعد السكان الرئيسى الذى يستحقه فى مجال العلاقات العنصرية ، وكان الاهتمام يتركز على مفاهيم أخرى كالاتفاق ، والانسجام ، والتوازن ، والتكامل . وإعتبرت كلمة (الصراع) سيئة بغيضة فى حد ذاتها ، وقد حاول بعض الكتاب رد الاعتبار لنظرية الصراع فى علم الاجتماع ، ولذلك يعد المفهوم الماركسى الخاص بالمعارضة الديالكتيكية بين الجماعات المتصارعة ، مصدراً

هاما للتغيير الاجتماعى يمكن أن يكون مفيداً فى مجال دراسة العلاقات العنصرية^(١).

أما العنف الاجتماعى فهو الهجوم على الأفراد أو مؤسساتهم ابتداءً لجرد أنهم أعضاء فى فئات أو طبقات اجتماعية معينة . وهو بهذا المعنى لا يكون ملازماً بالضرورة للتعامل . وقد لاحظ جريمشو Grimshaw, A. أن العنف ليس تعبيراً لازماً عن التوتر الاجتماعى الذى افترضه كمتغير آخر . ولعله يقصد بالتوتر الاجتماعى وجود درجة كبيرة من الخوف المشترك من حدوث صراع اجتماعى ، يؤدى إلى خسارة أو ضياع المركز الاجتماعى بين أفراد الجماعة المسيطرة ، والخوف من تفجر الصراع الاجتماعى بين الأقليات . على أن هذه المتغيرات الأربعة (التعامل ، التوتر ، الصراع ، التفرقة) وإن كان يمكن الربط بينها بطرق عديدة من الفاحية النظرية ، إلا أن إمكانية حدوثها ضعيفة من الفاحية العملية^(٢).

1. Berge, Pierre L. Vanden, "Race and Racism, A Comparative perspective" (New York, London, Sydney, John Wiley & Sons, 1967), p. 36.
2. Grimshaw, Allen, "Relationship Among Prejudice. Discrimination, Social Tension and Social Violence", Journal of Intergroup Relations (JIR) Autumn, 1961, pp. 303-305.

المبحث الثالث

التفرقة Discrimination :

أول ما يلاحظ بالنسبة لتعريف هذه الكلمة هو صعوبة التعريف بطريقة مختصرة ، بل أن كثيراً من الكتب والأبحاث الوصفية قد أخفقت في وضع أى تعريف على الإطلاق في هذا الشأن ، بالإضافة إلى احتمال إختلاط الأمر على الباحث في توضيح عملية التفرقة ذاتها (السلوك أو التصرف المقسم بالتفرقة) وما ينتج عن ذلك من الناحية الفعلية . وبناء على هذا لابد من فحص عدة تعريفات :

يعرف هانكينز Hanks, F.H. التفرقة بأنها « المعاملة غير المتساوية لأفراد متكافئين » . ويشير هذا تساؤلاً عن دلالة المساواة في حد ذاتها . فال مفهوم الضمى في هذا المجال هو أن أفراد الأقلية تختلف معاملتهم عن معاملة الأكثرية بسبب خصائصهم كأقلية ، وليس بسبب خصائص أخرى . ويوضح هانكينز مفهومه أنه إذا اختلفت معاملة طبيب أبيض عن معاملة طبيب زنجى أو ملون ، فإننا نستفتج

أن تلك كانت معاملة غير متساوية لمتساويين^(١) . ولكن عند إعادة النظر في هذا المثال يتضح أن الرجلين قد سوى بينهما على أساس خاصية واحدة — وهى المهنة — فكيف يمكن معرفة حقيقة ما إذا كانا متساويين فى كانه الاعتبار الأخرى ؟ الواقع أنهما ان يكونا متساويين فى كل شىء بطبيعة الحال ، لذلك يكون منطقيًا القول بأهما متساويان فقط باعتبار ما هو لائق أو مناسب لظرف من الظروف فمثلا إذا كانا يقطنان نفس المنطقة ، فليس معنى هذا أنهما يمارسان مهنة الطب بكفاءة متساوية ، كما لا يوضح هذا سماتهما الشخصية والزاجية وإهتماماتهما أو خلفياتهما العائلية وعلاقاتهما ببيئتهما . فإذا كانا قد عوملا بطريقة فيها تفرقة لأحدهما على حساب الآخر ، يصبح من الصعب أرجاع هذا للاختلاف العنصرى فقط ، بل يكون تقرير وجود التفرقة أصلا أمراً مشكوكا فيه .

ويقدم روبين وليامز تعريفا آخر بأنه « معاملة تفاضل الأشخاص يعتبرون تابعين لفئة إجتماعية معينة^(٢) » وكما يبدو لاوهلة الأولى ، فإن هذا التعريف أعم من أن يمكن الاستفادة منه ، إذ عادة ما

1. As quoted in Blalock, Op. cit., p. 15.

2. Williams, op. cit., p. 39.

يكون الشخص مفتتياً لأكثر من فئة أو جماعة مهنية ورياضية وإجتماعية إلخ . . كما أن معاملة الناس جميعاً مختلف من شخص إلى آخر حسب الأحوال والظروف . وقد يكون هدف، هذا التعريف حصر فـكـره التفرقة في الحالات التي تقع فيها التفرقة بين الأفراد على أساس انتمائهم إلى فئة إجتماعية معينة. ولكن — حتى في هذا المجال المحدود — تظهر صعوبة تحديد ما إذا كانت عضوية الشخص لفئة ما هي السبب الرئيسي الذي يؤدي إلى المعاملة التفضيلية لأن هذا يتطلب معادلة جميع الأفراد في كافة للتغيرات الأخرى، وينطوي هذا على نظرة عملية أو سببية .

ويذهب ألبورت إلى أن معاملة التفضيل المبغية على صفات خصائص شخصية فردية يجب ألا تفضوى تحت تبويات التفرقة^(١)، مما يعيد التساؤل عن كيفية الاستدلال على ما إذا كانت مثل تلك المعادلة ناتجة عن سمات فردية أو جماعية . فكما سبق القول ، لكل شخص سمات كثيرة مختلفة وإنتماءات لعدد من الفئات الاجتماعية المتباينة ، ومن ثم ، يصبح إستخدام الوسائل الاحصائية ضرورة لبيان

1. Alport, op. cit., pp. 51-52.

مرجع التفرقة وتحديد أصولها . فمن المؤكد — مثلا — أن هناك تفرقة في معاملة الزنوج والمولودين في كثير من المجتمعات الأمريكية . ولكن عند محاولة قياس درجة هذه التفرقة وتأصيلها ، فإن السدقة العلمية تعوزنا ، وبخاصة وأن المتغيرات موضوع هذه الدراسات تتداخل وتشعب إلى حد كبير . كما أن محاولة أخذ مثل ذلك اليهودى الذى يعتمد عن المحلات والمطاعم المرتفعة الأسعار لدراسته كظاهرة معبرة عن ميل جماعات اليهود فى مجتمع معين إلى إحساس بوضاعة عنصرية أو سمات عامة فى مجال الإنفاق مثلا ، ستواجه نفس صعوبات القياس ، فضلا عن تحديد أصول تلك الظاهرة .

وعند التعرض لقياس التفرقة ، يلاحظ أن قياسها يتم بطريقة غير مباشرة ، كما يتطلب مجموعة فرضيات نظرية قد يكون الكثير منها غير قابل للاختبار لربط فكرة التفرقة هذه بمقاييس فعلية . وفى هذه الحالة لن تكون إيضاحات المفاهيم وبيان الخواص الرياضية كافية . وبما أن عملية القياس لا تكون مباشرة ، يصبح قياس التفرقة فى حاجة إلى نظرية للسببية الاجتماعية . وعلى هذا تختلط عملية القياس وتتشابك مع إعتبارات نظرية بشكل غير مرغوب . ويرجع السبب إلى أن مفهوم التفرقة — كما انضح من التعريفات المتعددة السابقة — ينتمى

إلى مجموعة من المفاهيم تعرف من الفاحية النظرية على أساس عوامل غير قابلة للقياس بشكل مباشر ، وعادة ما تشمل تعريفات التفرقة على فكرة القصد أو النية Intent وتطلب استدلالات سببية .

على أن من أهم مشاكل قياس التفرقة هو التعرف على الوحدة موضع القياس : هل هي أفعال التفرقة وعددها مثلا ، أم عدد المشاركين في فعل التفرقة ، أم عدد أولئك الذين يتأثرون بهذا الفعل ^(١) ؟ بل أن هناك من يخرج بمفهوم التفرقة هذا عن نطاق الأفعال الآدمية كلية ، ويربطه بذلك الشعور الفطري لدى البعض بالنقص والقصور وانخفاض عاطفتهم أو عدم فصحهم الوجداني . وإفتراض مثل تلك الأسباب الطبيعية أو الفطرية - على الرغم من أنه يستحق دراسة واعية - إلا أنه يتجه نحو عملية قد تتمتع على التحليل العلمي ، وبخاصة إذا أدخلت في حساباتها عوامل ميثافيزيقية روحية . ومن ثم نتجه جمهور الباحثين في هذا الميدان إلى معالجة مقاييس ظاهرة الانفصال segregation أى الاضطهاد المنصري وليس التفرقة ، بل يدعون إلى ترك هذا الموضوع في جملته حيث تستعصى ظاهرة التفرقة على القياس ، كما سبق القول .

(١) لدراسة متعمقة عن المقاييس المتنوعة لعدم المساواة ، راجع :

Aiker, H.R. and Russett, B.M., "On Measuring in Equality, Behavioural Science, 9 July (July 1964), pp. 207-218.

على أن بليلوك Blalock يرى أنه من الأصوب التفكير في متغيرات التفرقة ، حتى وإن استعصت على القياس المباشر فإنها من الأهمية بحيث تصبح دراستها ضرورية . وفي الاختبارات التطبيقية وفي القتابع والتسلسل العلى ، لا تكون مثل هذه المتغيرات هدفا للبحث في حد ذاتها ، وإن كانت فائدتها لا تنفكر كمتغيرات وسيطة تلقى أضواء على الظواهر محل البحث الأصلية خاصة لفهم العام الشامل لمثل هذه الظواهر ومصاحباتها^(١) .

العلاقة بين التعامل والتفرقة :

إن التعامل عبسارة عن اتجاه attitude أو ميل tendency للاستجابة ، وقد لا يتضمن عملا صريحا باتجاه أفراد الأقلية ، لأنه لا يوجد موقف ما يفرض وجود هذا العمل ، أو لأن الاتجاهات الأخرى قد أنهت التعبيرات العلنية عن العداء فى المواقف التى قد يظهر فيها كراهية أو معارضة ، ويكون ذلك بإخفاء المشاعر الحقيقية أو إعطائها تعبيرا غير مباشر بصورة كاملة .

-
1. Blalock, H. M., "Causal Inferences in Non-experimental Research" (Chapell Hall: Univ. of North Carolina press, 1964) Chap. 3.

بهذا يمكن أن يسير التعامل موازيا للفرقة . ومع ذلك فإنهما غير متلازمان تماما ، فالفرقة هي المعاملة المختلفة لأفراد ينتمون إلى جماعة اجتماعية واحدة .

ويرى وليامز أن الفرقة تتضمن أيضا شيئا من العدوان إلى حد كبير ، ومن ثم فإنها توجد عند « المرحلة التي لا يعامل فيها كل أفراد جماعة معينة وفقا للقوانين العامة الثابتة المتعارف عليها ^(١) » .

ويستعمل انتونوفسكى Antonovsky, A. تعريفا مشابها لتعريف وليامز بقوله أن الفرقة يمكن أن تعرف بأنها معاملة ضارة أو مؤذية تؤثر على الأفراد على أنهم غير مرتبطين بالوضع القائم من القاحية المعنوية ^(٢) » .

ويمكن ملاحظة أن الفرقة « نظام للعلاقات الاجتماعية » وليست تصرفا فرديا متفردا ، وأنه يشمل بعض العوامل الاجتماعية مثل التقاليد السارية ووظيفة الفرد أو مهنته ، والعقوبات أو الجزاءات الاجتماعية ، والمعتقدات الأيدولوجية ، ومدى الاستجابة لدى الأفراد

1. Williams, op. cit., p. 39.

2. Antonovsky, Aron, "The Social Meaning of Discrimination",
Phyton, Spring, 1960, p. 81.

الذين يقع عليهم عدوان ما — وذلك لأن العفوة « تبطل قدرة ضحاياها وإدراكهم » مما يؤدي إلى تعزيز النظام القائم نتيجة هذا السلوك .

وللفظ التفرقة معنى مزدوج ، أحدها إيجابي والآخر سلبي ، فالعفوة بالمعنى الإيجابي هي المعاملة الأقل ودا لكل الأقليات برغم أنهم جميعاً متماثلون . والتفرقة بالمعنى السلبي تعنى عدم إدراك الفوارق بين الشخص المرغوب والمكروه ، أو بين الجذاب والمنفر ، أو بين الذكي والغبي من أفراد جماعات الأقلية . ويتأكد الفرق بشدة بين الميل لسلوك ما وبين السلوك القاطع ، أو بين التعامل والتفرقة لدى السكتاب في السنوات الأخيرة . ولقد لعب هذا الاختلاف دوراً هاماً على وجه الخصوص لدى الأفراد الذين يعملون على التقليل من العداء داخل الجماعة موضع التحليل . فقد وجد أنه يمكن في الغالب القضاء على التفرقة عن طريق جعلها غير مستحبة أو مؤلمة ، أو بتعبير أبسط بجعلها أمراً شاذاً غير مألوف ، وذلك دون تقليل درجة التعامل بشكل مباشر .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن تحليل العلاقة بين التفرقة والتعامل ، قد يؤدي إلى إفتراض عدم وجود علاقة سببية بينهما . إذ تمكن وراء

كثير من الدراسات عن « الشخصية المتحاملة » ، فرضية مؤداها أن الحاجات والخاوف الفردية التي تعبر عن نفسها في صورة التحامل ليست إلا سببا أوليا للتفرقة . إلا أن هناك دليل واضح على أن التحامل هو نتيجة جانبية للتفرقة ، وأنه وسيلة لتبرير والتخلص من مشاعر الإحساس بالذنب التي تظهر عندما يعامل الشخص غيره من الناس بطريقة ظالمة تبعا لآرائه الخاصة . ويمكن فهم التفاعل بين التحامل والتفرقة بالنظر إلى الصراعات التي تدور من أجل الحصول على السلطة أو الثروة أو غيرها من العوامل التقليدية ، وكذلك بالنظر إلى المخاوف الفردية التي يتضمنها التحامل .

وهناك ملاحظة إضافية ، هي أن التحامل ليس هو الأساس الوحيد للعلاقات المنفصية ، بل هو نتيجة مصاحبة لهذه العلاقات فضلا عن تأثيره بعوامل أخرى . فالوقائع القاريحية للشعب الألماني قد فشلت في تفسير ما حدث لليهود بألمانيا في الفترة من ١٩١٨ — ١٩٣٩ . ولا يمكن لأكثر نماذج الشخصية المتأثرة بالعداء للسامية أن تقدم تفسيراً لسبب استحالة مزاوله أطباء الأسفان اليهود مهنتهم في بعض الدول الغربية . كذلك فإن المفاهيم الاجتماعية الخاصة بإدراك

العلاقات المنصيرية لا يمكن أن تفسر كيفية احتفاظ جماعات معينة بسيطرتها على جماعات أخرى^(١).

وبناء على ذلك ، فإن اكتشاف كيفية تفسير الاختلاف بين التحامل والفرقة يتطلب التركيز على المتغيرات الفردية ومداهما بالنسبة لمتغيرات البنيان الاجتماعي ومدى التفاعل بينهما .

والواقع أنه لا يوجد ما يعبر تعبيراً مناسباً عن العلاقة بين التحامل والفرقة ، فنتيجة لحدوث واحد من الفروض الآتية :

- (أ) فقد يكون هناك تحامل بدون فرقة .
- (ب) أو قد تكون هناك فرقة بدون تحامل .
- (ج) وقد تكون الفرقة ضمن أسباب التحامل .
- (د) أو قد يكون التحامل ضمن أسباب الفرقة .
- (هـ) وفي الغالب ومن الأرجح أنهما يتبادلان التأثير .

ولاشك أن الحاجة ماسة لمزيد من التحديد الدقيق للظروف

1. Williams, Cary Mc., "Brothers Under the skin", rev. ed., (Little Brown, 1951), pp. 315-317.

الشخصية والاجتماعية التي تسود في ظلها هذه العلاقات المتنوعة .
بهذا يعد التحامل والتفرقة من أكثر جوانب العلاقات داخل الجماعة
موضوعا للبحث والدراسة .

المبحث الرابع

الإضطهاد أو التمييز العنصرى Segregation :

إن كثيرا من الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والتاريخية
لعلاقات جماعات الأقلية ، دراسات وصفية . فقد سجلت آلاف من
الأبحاث - على سبيل المثال - وجود اضطهاد من أنواع عدة متغيرة ،
ولكن قلة منها فقط حاولت أن تقيس درجة مثل هذا الإضطهاد
والتمييز أو حتى أن تقارن بين مقدار الإضطهاد مثلا بطريقة بدائية
وليست كمية .

هناك - مثلا - دراسات لا حصر لها عن زفوج الولايات
المتحدة ، ولكن حساب نتائج هذه الدراسات لم يتم بعد . فهناك
دراسات لمشروعات الإسكان المشترك للأجناس المختلفة ، أو لمضوية
الزفوج في السفائس البروتستانتية ، أو لاشراك الزفوج في الحزب

للسيوعى الأمريكى وتنظيماته ، أو لعلاقات الزنوج بالحرف والمهن المختلفة والعمالة وأصحاب الأعمال . الخ ، ولكن ما نتج عن هذه الدراسات من فرضيات نظرية وتعميمات كان قليلا ونادرا . وكذلك الحال بالنسبة لدراسات الأقليات فى المجتمعات الأخرى باستثناء بعض الدراسات فى الدول الأوربية ذات الثقافات المتداخلة ، وهى ما زالت قليلة محدودة^(١) .

وقد أدت صعوبة قياس درجات الاضطهاد والتمييز إلى الإفتقار لفرضيات مدروسة ومختبرة تصلح لدراسات مقارنة . فبينما تركز دراسة الاضطهاد أساسا على جماعات وليس على أفراد كوحداث للتعليل ، فإن الدراسة المقارنة تواجه صعوبات عملية سواء كانت الدراسة متعلقة بمقارنة مجتمعين مختلفين أو بوحدين داخل مجتمع واحد ، ومن أهمها الصعوبات المادية كارتفاع تكاليف البحث وطول الفترة الزمنية لإجرائه - بينما الحال مع الاختبارات الأخرى لعلى النفس والاجتماع أبصر بكثير .

(١) من أهم هذه الدراسات :

Wagley, G. & Harris, M. Op. cit.

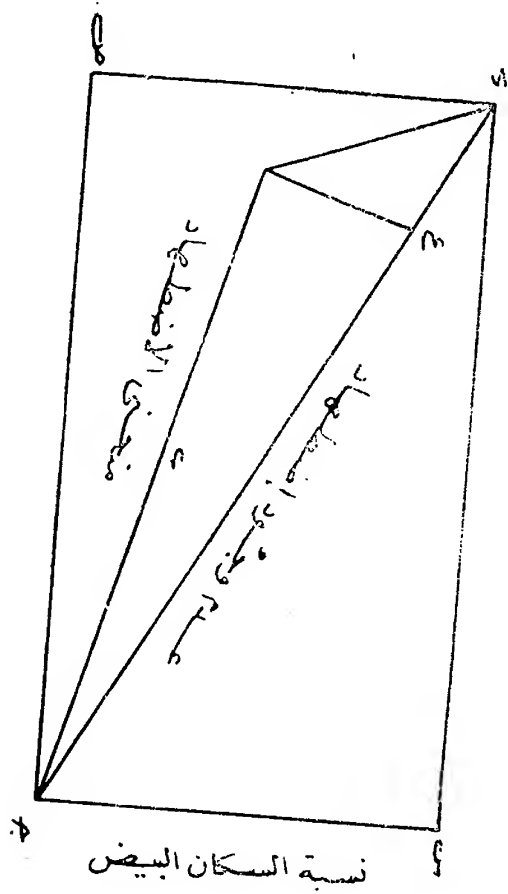
قياس الإضطهاد والتمييز :

كانت الولايات المتحدة وما زالت من أفضل حقول دراسة هذا الموضوع . وقد مرت هذه الدراسة في سلسلة من التطورات عبر دراسات وصفية غير مقارنة خلال الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن^(١) - إلى إجراء مقارنات ما زالت تواجه الصعوبات المنهجية السابق الإشارة إليها ، وهي تقنين تلك المقاييس التي تصلح لإجراء مثل هذه الدراسات المقارنة .

حقيقة أن الحاسبات الإلكترونية - بما صاحبها من ثورات في مجالات البحوث الكمية - قد أتاحت فرصة أفضل لإجراء مثل هذه البحوث ، إلا أن مقاهات تحديد المفاهيم والاصطلاح عليها قد ظلا يلقيان بظلالهما على تلك البحوث وإمكاناتها .

ومن الأمثلة على تلك المحاولات ما قدمه الدنكينز^(٢) سنة ١٩٥٥

-
1. Dollard, Drake and Cayton David and Gardner. In Block. op. cit., p. 11.
 2. Duncan, D. and Duncan, B. "A Methodological Analysis of Segregation Indexes", American Sociological Review, 20 (April, 1955), pp. 210-214.



على شكل منحنى الاضطهاد المبين في الرسم البياني السابق :

وقد حاولت هذه الدراسة أن تحصى نسبة الأقلية في كل حي سكني على حدة ، ثم رتبت هذه الأحياء على حسب هذه النسب ، وحددت نسبة السكان البيض إلى السكان الملونين (س / ح ص) كما في الرسم البياني السابق .

وحيثما كان الاضطهاد مفعدما كان الخط المستقيم (س / ح) ، وكل ابتعاد عن هذا الخط يعد تعبيراً عن درجة من درجات الاضطهاد أو التمييز القائم على اختلاف لون السكان .

ولعل في هذه الدراسة ومثيلاتها ما قد يقترح علينا إجراء دراسات للتوزيعات السكانية في بعض المدن الكبرى في مصر مثلاً كالقاهرة والاسكندرية ، وبخاصة في أحياء مثل غيط العنب وبهاصة الشوام ، وشبرا بالقاهرة ، وكذلك أماكن التجمع السكاني للعمالة

المهاجرة من الوجه القبلى وهـ. كذا عسى أن يكون فيها بيان إيضاحى
لبعض الاتجاهات السياسية وغيرها عند الأقليات المتمركزة فى تلك
الأحياء (١).

(١) على عبد الناصر : « دراسة فى منهجية بحوث الأقليات » ، مجلة مصر
للمعاصرة ، عدد ٣٥٥ يناير ١٩٧٤ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

الفصل الثاني

أساليب التعامل المتبادلة بين الاكثرية والاقلية المبحث الأول

معاملة الاقلية للأغلبية :

حاول البعض تصنيف الأقليات على أساس أهدافها النهائية .
فميز لويس ويرث Wirth, L. بين أربعة نماذج^(١) . وهو وإن كان
يقرر عدم وجود أقلية متجانسة وأن لكل منها تياراته وانقساماته
الداخلية الخاصة ، فإنه مع ذلك يفترض أن أي أقلية سيكون لها أحد
هذه الأهداف الأربعة كاتجاه مميز وحركة اجتماعية موجهة في كل
الاحتمالات :

١ - النموذج الجمعي أو التعدد Pluralistic Model :

ويكون ذلك حين ترغب الأقلية في وجود مسالم جنباً إلى

1. Wirth L., "The Problem of Minority Groups". In Linton
(ed.), (New York, 1954).

جذب مع الأكثرية ومع الأقليات الأخرى ، إن وجدت . والتمدد حالة تمهد السبيل إلى ديناميكية الحضارة لأنها تسمح باتصال وتأثير متبادلين . وعادة ما تأخذ شكل الرغبة في تحقيق وحدة سياسية وإقتصادية ، مع وجود تسامح ثقافي أو لغوي أو ديني متدفع .

ونعتبر نقطة الأقليات الإثنية في شرق أوروبا في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر بصفة أساسية - نهضة ثقافية وتحولا من مشاعر الإحساس بالفقص إلى الاعتزاز بذانيتها . وحينما تتحقق المساواة السياسية والاقتصادية أو تكون مضمونة التحقيق ، تتطور هذه اليقظة ، حتى تأخذ الشكل الجمعي أو المتعدد . أما في حالة كبت التنوع الثقافي ، فإن الأقليات تتجه إلى نموذج الانفصال Scessionistic Model . ويختلف مفهوم التعدد أو الجمعية من تجربة لأخرى ، فهو يتضمن - في بعض المجتمعات - التسامح ، ولكن مع تعاون قليل الأثر بين الجماعات الثقافية ، أو قد يتضمن وحدة سياسية وإقتصادية ، ولكن مع اتصال ضئيل ومشاركة عامة ضعيفة أو محدودة في المجالات الأخرى ، وهو ما كان شائعا في أوروبا الشرقية ، وقد يتضمن التعدد الثقافي نوعا أكثر حيوية من أنواع الوحدة بين الجماعات المختلفة ، بحيث تسمى نحو أهداف عامة مشتركة في خصائصها المتوارثة المختلفة . وكانت هذه

الحالة في أغلب الأحيان تمثل رد الفعل لدى الجماعات المنصرية بالولايات المتحدة^(١) ، إذ بعد استقرارها نهائيا في تلك البلاد، أصبح افتخارها واعتزازها بعيراتها الثقافي أقل حدة ، وانتهت بذلك آخر أجزاء الانقسام مع وجود الرغبة في الإسهام الكامل في الحياة الأمريكية .

٢ - النموذج الامتصاصي أو ما يمكن أن يسمى بالنمذجة :

Assimilationist Model

قد ترغب الأقلية في النمذجة داخل الجماعة المسيطرة . ولا يحدث الإمتصاص هنا إلا إذا قبلت الأكتريية هذا المبدأ . ولكن هذه الفكرة قد تتسلط على الأقلية كهدف أساسي حتى مع معارضة الأكتريية لها ، وذلك لتمكين الأقلية من تحقيق الاشتراك الكامل في حياة المجتمع الأكبر . ولا شك أن الإمتصاص هو الاتجاه الشائع بين الأقليات في الولايات المتحدة ، إلا أن الجماعات تنقسم إزاء الرغبة في تحقيق التعدد أو الامتصاص . وعلى سبيل المثال ، نجد أنه بالنسبة لليهود الذين عاشت عائلاتهم لأجيال طويلة في الولايات

1. Horace M. Kallen, "Cultural pluralism and the American Idea" University of Pennsylvania Press, 1956.

المتعددة ، يكون الامتصاص أكثر احتمالاً لتقبل ، بينما يميل المهاجرون الجدد من اليهود إلى النموذج الجمعي ويميش الزوج في حالة امتصاص تام في أغلب الأحوال ، لرغبتهم في المشاركة في المجتمع الأمريكي ، نتيجة اعتقادهم بأنهم يشتركون في ثقافة عامة ، ولسكدهم يأخذون بالشكل المتعدد إلى حد ما ، أو بأوضاع نضالية أو انفصالية أحياناً .

وهذا يحدد التمييز بين التبادل الثقافي أو الثقافات Acculturation وبين التمثل الاجتماعي ، فالتبادل الثقافي يعنى عملية امتصاص الأقلية للطرق والقيم ونماذج الحياة الثقافية للمجتمع الأكبر ، أو أن جزءاً من المجتمع الأكبر يخضع للحدود الإقليمية والطبقية المتاحة له . أما التمثل فيعتبر بدرجة أكبر عن هوية الشعور الذاتي وانجماه Subjectively felt . ومع وجود التمثل السكلى تغتفى الأبواب القيمية أو الوضع القائم على أساس إثنى .

ومن ناحية أخرى ، فإن عضو الجماعة الإثنية الذى يخضع لعملية الثقافة لا يتحرر بالضرورة من مشاعره نحو جماعة الأقلية التى ينتمى إليها ، إذ ليس من الضروري أن يشعر بحدوث تمثل له ، أى أن شخصيته قد تمثلت كلية في المجتمع الكبير ، وتم اعتراف هذا المجتمع بها ، وأنه قد تحرر من الإحساس بالفوارق بينه وبين المجتمع .

ولعل هذا ما يفسر عبارة « الأمركة الشاملة » ، وغياب النموذج الجمعي عند البيض، بينما هم يشيرون في واقع الأمر إلى التبادل الثقافي وحدث حالة الامتصاص . وبشكل وجود جماعات انثوية لم يحدث بها تمثل أو تناقص لدى رجال السياسة مبررا يساعدهم على تفهم أسباب استمرار الأساليب الانثوية طوال هذا الوقت الطويل في النظام السياسي الأمريكي^(١)

ولنموذج ويرث تطبيقات محددة عند تحديد الأقليات الأوروبية^(٢) فقبل نهاية القرن الثامن عشر عندما أصبحت القومية تمثل مشكلة واسعة النطاق ، كانت معظم الأقليات في أوروبا من الفروع الجمعي ، وتهدف أساسا إلى التعدد الثقافي . ولكن مع مقدم القرن التاسع عشر واستقرار مبدأ القوميات ، تحولت الأقليات إلى إقلييات انفصالية باستثناء اليهود الذين لم تقتل لإهمهم العدوى . إلى أن تكونت الصهيونية بنهاية القرن . والواقع أن يهود ألمانيا فيما قبل هتلر كانوا

-
1. Edgard Litt, "Beyond Pluralism, Ethic Politics in America" (U.S.A.: Scott, Foresman & Co., 1970), p. 15.
 2. Wirth, Op. cit., pp. 6-7.

من النوع الامتصاصى المسيطر — حسب مفهوم ويرث — رغم
بعضهم في وضع جمعى ثقافى في بلاد أخرى . ويبدو من الصعوبة بمكان
وجود أية اقلية أخرى ينطبق عليها النموذج الامتصاصى في أوروبا
خلال تلك الفترة لأنها كانت ترى أنه ما دامت لديها لغتها وثقافتها
وتقاليدها التاريخية المحددة ، فلا بد من محاولة بقاء وضع قومى مستقل
بصرف النظر عن صغر حجم تلك الجماعة الإثنية^(١) .

وتتميل جماعات الأكراد المسيطرة إلى النموذج الإمتصاصى .
وعادة ما يدل لفظ الامتصاص أو التمثل — من الناحية النفسية —
على مدى اندماج ثقافتين ، حتى يصبح المشتركون في عملية الدمج غير
متميزين عن بعضهم البعض . ولكن أحد أساليب الامتصاص هو
استعمال القوة التى تقوم الجماعة المسيطرة عن طريقها — معتقدة بتفوقها
الثقافى — بفرض أسلوب حياتها على أعضاء الجماعة الأقل قوة .
ويحدد كلود Claude, I. هذا المعنى الأوروبى بقوله أن : « التمثل يتطلب
أن توافق الأقليات على التخلّى عن السمات العرقية والثقافية واللغوية
التي تميزها عن الأغلبية القومية التي تعيش معها ، وأن تعيش مندجّة

1. Barron, op. cit., p. 7.

في مجتمعات موحدة القومية مع الأغلبية (١) .

وتعتبر محاولة عصبية الأمم بسط الحماية على الأقليات القومية مقدمة منطقية للوضع الأمثل الذي تسعى إليه الاقليات بأن تعيش بشخصيتها في وضع النموذج الجمعي أو المتعدد ثقافيا ، أى أنها تكتفى بلغتها ومؤسساتها ونظم تعليمها وهيئاتها الخاصة .

وفي كل الحالات ، فإن العلاقة بين جماعة الأكرية والاقلية في الدول الاوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، كانت تمثل نوعاً من الصراع الدائم . وتحول الخلاف بين الثقافات والتقاليد المختلفة — في أكثر جوانبه — إلى حد صدام سياسى كانت محاولة فرض الامة عاص بالقوة فيه سلاحاً معترفاً في معاملة الأغلبية للأقلية .

٣ — النموذج الانفصالي أو الإنعزالي Secessionist Model :

قد تطالب الأقلية بالاستقلال الثقافي والسياسي . وإذا فشلت في تحقيق وجودها على أساس النموذج الجمعي أو الامة عاصي بصورة

١. Claude, Inis, "National Minorities, An International Problem"
(Cambridge, Mass, 1955), p. 79.

ودية ، فقد تقوم تلك الأنلية بنشاط مكثف لتحقيق استقلالها
السكامل ، ولا تعود راضية بالتعدد الثقافي ، كما تصبح معادية لعملية
الامتصاص ، ومثال ذلك الاتجاه بين بعض زفوج أمريكا لتكوين
أمة منفصلة أو الاتجاهات الانفصالية لدى السود من المسلمين .

٤ — النموذج النضالي أو الماشدد Militant Model :

قد تذهب الأقلية في رغبةها لتحقيق المساواة إلى حد الرغبة في
السيطرة على الآخرين ، بحيث تصبح هذه الرغبة هدفها ، مما يؤدي
إلى قلب الأوضاع تماما ، وذلك لإيمانها التام بتفوقها الذاتي . فعندما
دخل هتلر تشيكوسلوفاكيا ، سعى الألمان في السوديت للسيطرة على
التشييك والناسوفاك . وعندما انسحبت بريطانيا من فلسطين حاول
الصهاينة إقامة كيان مسيطر لهم . كما أنه مع تكوين الدول الجديدة
في آسيا وأفريقيا حدث كثير من التغيرات نتيجة الرغبة في تحقيق
هذا النموذج^(١) .

(١) لمزيد من تفاصيل هذا النموذج راجع :

المبحث الثانى

معاملة الأغلبية للأقلية

هناك ستة أنواع من السياسات التى اتبعتها الجماعات المسيطرة فى مواجهة أهداف الأقلية وتمشت مع هذه الأهداف أحيانا وتعارضت معها فى أحيان أخرى ، وهى :

١ — الامتصاص Assimilation سواء بالقوة أو الاختيار .

٢ — التعدد أو الأسلوب الجمعى Pluralism

٣ — الحماية القانونية للأقليات

Legal protection of Minorities

٤ — الانتقال السكانى Population Transfer سواء سلميا أو هجرة إجبارية .

٥ — الاختضاع المستمر Continued Subjugation

٦ — الإبادة Extermination

١ — الامتصاص :

من الممكن أن تكون أحد حلول مشكلة الأقليات هو التخلص من الأقلية كأقلية ، ويعتبر هذا الحل هدفا لدى الأقليات ذاتها ، إلا أن سبيل الأقلية إلى تحقيقه يختلف اختلافاً كبيراً في أغلب الأحيان عن وسيلة تحقيقه لدى الأكرية فالجماعات المسيطرة تقبى في الغالب أيديولوجية عنصرية متطرفة ، حتى أنها ترفض منع الأقليات حق ممارسة ديانتها الخاصة ، أو التحدث بلغتها الخاصة ، أو اتباع عاداتها الخاصة . ولقد مر النظام القيصري عبر فترات من القذوب الشديد داخل البوتقة الروسية — مثلاً — كان فيها البديل الوحيد أمام الأقليات التي ترغب في الاحتفاظ بذاتيتها هو أن تقاوم الاضطهاد العنصري الحاد أو أن تواجه النفى والتعذيب . ولعل أقمى الأمثلة عفا على الامتصاص الإجبارى ما حدث في النظم القائمة على أيديولوجية الثقافة واللغة الموحدة والشعب ذو العنصر الواحد والتي كانت تحكمها حكومات شمولية . وكان من الطبيعى أن تتبع السياسة النازية أسلوب الامتصاص بالإكراه مع ادعائها المذهبي بتفوق الجنس الآرى ، كما أنها اتبعت حيال الجماعات التي فشلت في امتصاصها سياسة قتل السكان الاجبارية العنيفة .

ويرى جانوفسكى Janowsky, O. أن السياسة الفازية تقوم على أساس مفهوم قديم فجواه أن أفضل الدول هو الدولة المتجانسة ، فالوحشية الفازية — طبقا لهذا المبدأ — ليست ناجحة كالمية عن العقلية المفحرفة لكل من هتلر وجوبلز ، ولا يحجب أن نفس الطريقة المقعمدة القاسية التي قتل بها عدة ملايين من اليهود والبوالدين والروس وغيرهم في معسكرات الاعتقال الفازية ، إلى مجرد الرغبة المجنونة في القتل خوفا من توقع فشل النظام ، وإنما ترجع جذورها إلى تعاليم بسمارك وفون باولو التي ازدهرت في ظل عقيدة تؤمن بأن « أفراد القوميات المختلفة وذوى اللغات والمعدات المختلفة » لا يمكن أن يعيشوا جفبا إلى جنب في دولة واحدة . وأنه عندما يلتقى القدر بشعبين في منطقة واحدة ، فلا مفر من أن « يصبح أحدهما المطرقة ويصبح الآخر السفدان » وأن يعتبر محو اللغة والثقافة التابعة للقومية الأضعف سياسة مشروعة للدولة . وتبعاً لهذا الرأى يعد أتباع القسوة في توحيد الثقافة القومية أساساً للتطور التاريخى^(١) .

وفي مقابل هذا التمثل أو الامتصاص الإجبارى ، هناك تمثل

1. Janowsky, Oscar, "Nationalities and National Minorities", (Macmillan, 1945), pp. 30-31.

سلى . وهو عبارة عن سياسة طويلة الأجل تسمى لتحقيق الوحدة الثقافية وأحياناً الوحدة العنصرية ، إلا أنه يسمح للأقليات بالذوبان داخل الجماعات المسيطرة واتباع أسلوب حياتها بمعدل مرعة يناسب ظروفها الخاصة . وهو امتصاص وامتزاج متبادل بين جماعات متناقضة . ونثال على هذا الفروع ، ما حدث في البرازيل حيث توجد بها أيديولوجية تشجع الامتزاج الشامل بين الجماعات ذات الجنسيات المختلفة داخل إطار الجنس البرازيلي الواحد . ويرى ميردال Myrdal, G. أن امتصاص كثير من الأقليات بالولايات المتحدة هو جزء من قيمة عقائدية بها ، رغم عدم وجود تأكيدات قوية متبادلة تمثل هذه العقيدة - أى أن تكون الأقليات على استعداد للتخلص من اختلافاتها . ولكن يجب ملاحظة أن الأقليات العنصرية لا تدخل ضمن هذه العقيدة ، لذلك فإن عدم امتصاص الزنوج والجماعات العنصرية الأخرى بالولايات المتحدة يضيف بعداً هاماً لا بد أن يؤخذ في الاعتبار عند أى تحليل للسياسة الأمريكية . ويستخدم جوردن Gordon, M.^(١) مصير « التوافق مع الإنجليزية » Anglo-Conformity

1. Gordon, Milton, "Assimilation in America : Theory and Reality" Deadalus (Spring, 1961), p. 265.

للاشارة إلى ما يعقده أقصى أشكال الامتصاص الأمريكي شيوعا .
وعلى الرغم من أن هذا التعبير يغطى مجموعة من التفسيرات ، إلا أنه
يفترض الرغبة فى الاحتفاظ بالتفظيمات الانجليزية (التى عدلناها
الثورة الأمريكية) والاحتفاظ باللغة الانجليزية وبالنماذج الثقافية
الأكثر ميلا للانجليزية ، بحيث تكون هى المسيطرة والهيمنة بالحياة
الأمريكية .

ويرتبط هذا المفهوم فى بعض الأحيان بمفهوم التفوق الآرى
أو النورماندى ، وأيضا بالمعارضة القوية لهجرة الشعوب غير الإنجليزية ،
كما يرتبط بحدوث الأمركة النشطة ورغم ذلك فإنه يوجد فى أمريكا
اتجاه مخالف يتجنب مفاهيم التفوق العرقى أو العنصرى ، ويقبل
الهجرة من مصادر مختلفة ، ويطالب بعدم الأخذ السريع المتوازن
لنماذج الثقافة الانجلو سكسونية فقط .

وتلقى فكرة « التوافق مع الإنجليزية » هذه بظلالها على
فكرة أخرى هى بوتقة الإنصهار melting-pot ، وإن اختلفت ظروف
أمريكا فى نواحى عديدة عن ظروف إنجلترا . ففى أمريكا قدم السكان
من دول كثيرة ، بحيث اجه التفسكير إلى خلق مزيج جديد تماما من
الناحيتين الثقافية والعنصرية ، وليس إلى مجرد تطوير مجتمع أمريكى

لا يختلف كثيراً عن المجتمع الانجليزى ، مزيج يقوم على عدم التفرقة داخل بوتقة سياسية لأمة سياسية تشكل تحت التأثير الأمريكى وتبادل التفاعل لتسكون شكلاً جديداً متميزاً^(١) . ولقد استمرت هذه الآراء فى أمريكا كحقيقة أكثر منها كسهاسة متبعة بالفعل ، ولسكن قوانين الهجرة الأمريكية قامت فى جزء منها على هذه الجوانب ، كما أثرت فكرة بوتقة الانصهار تلك - إلى حد ما - على نظرة معظم الأمريكيين إلى مجتمعهم .

٢ - التعدد أو الجمعية Pluralism :

على الرغم مما سبق قوله ، نجد بعض الأقليات لا ترغب فى وقوع تمثيل أو امتصاص لها ، حتى لا تفقد شخصيتها المستقلة . وقد تسكون هذه الرغبة من جانب واحد أو قد تسكون من كلا الجانبين (الأكثر والأقلية) ، بحيث يتماشى مع أهداف التعدد المتقافى لدى الأقليات استعداد جزء من الجماعة المسيطرة السماح بمثل هذا التنوع المتقافى ولسكن فى حدود تتناسب مع الوحدة والأمن القوميين . ويكون مثل هذا الاستعداد فى الأغلب الأعم رد فعل فوري لأسلوب

1. Gordon, Ibid., p. 270.

الامتصاص السكامل . ومثال ذلك ، سعى الاتحاد السوفيتي للحصول على تأييد الأقليات الثقافية والقومية التي عانت طويلا من اضطهاد السياسة القيصريّة ، بحيث استطاع الشيوعيون عام ١٩١٧ اجتذاب الأقليات المختلفة ، عن طريق الدفاع عن حقها في الاستقلال الثقافي على أساس « أن معتقداتهم وتقاليدهم ومؤسساتهم وثقافتهم القومية تكون فيما بعد حرة لا يجوز انتهاكها أو التعدي عليها^(١) » . ولقد كان ستالين نفسه فرداً يفتتح إلى قومية صغيرة ، فأصبح ممثلاً للقوميات الشعبية له وزنه في تقرير السياسة التي تفصل المواطنة عن القومية الثقافية والعرقية ، ولم يسمح باستعمال اللغات الوطنية في الاتحاد السوفيتي فقط ، بل وشجع أيضا استمرار وجودها . وعكس التنظيم السيماسي للاتحاد السوفيتي إلى حد ما وحدات ثقافية مختلفة السكان . وعلى الرغم من ذلك ، لم تكن السياسة السوفيتية تمثل النموذج الجمعي تماما ، بل أصبحت أقل نشاطا في هذا المجال ، إذ عارضت التعدد الإقليمي المتزايد لليهود ، وقبضت الدعاية اللادينية معالم

Locke, Elaine and Stern, B.J. (eds.) "When people Meet",
(Hinds, Hayden & Eldredge, 1946), p. 673.

الاستقلال الدينى ، وقلل الإصرار القوى على اتباع عقيدة سياسية واقتصادية موحدة من أية الاستقلال الثقافى .

ومفد بداية الحرب العالمية الثانية ، كان لإنبعاث القومية الروسية نتائجها الإيجابية فى اتباع السياسة القيصرية القديمة فى ثوب جديد . وخلال تلك الحرب تحطمت نهائيا بعض الأقليات السوفيتية بالقوة ، وتشقت اليهود والأقليات الأخرى ، وهوجموا فى العقد الماضى لسكونهم « أمميين » universals ، وأصبح الروس يعاملون معاملة أكبر تمييزاً عن غيرهم^(١) . ويعتقد جاكسوفسكى عقد إشارته إلى المبادئ السائدة فى شرق ووسط أوروبا بأن النموذج الجمعى هو الطريق الوحيد لتقليل الشقاق أو الفزع الداخلى الذى يميز هذه الدول ، « إذ أن لب مشكلة الأقليات يمكن إدراكه فى عبارات قليلة : أن دول شرق ووسط أوروبا ليست متجانسة اللغة أو الثقافة . ويتكلم نسبة كبيرة من المواطنين فى الدولة الواحدة بلغات متباينة ، ويمتزون بذكريات أو

1. Kalarz, W.J., In A. W. Lind, (ed.) "Race Relations in World Perspective", University of Hawaii Press, Chap. 9.

ولمناخة السياسية السوفيتية الحالية أنظر :

Wheeler, Goeffrey, "Racial Problems in Soviet Muslim Asia" (Oxford, 1962)

تقاليد تاريخية متميزة . ومن هنا ، فإن الانسجام القومى الذى يرمز إليه فى لغة واحدة وثقافة قومية واحدة للدولة لا يتاح إلا عن طريق اضطرار الأقليات أو التغلص منها ، مما يؤيد بالضرورة القتال الذى قد يهدد بدوره السلام العالمى . فإذا أمكن إحلال السلام والتراضى محل الظلم والصراع فلا بد أن يكون السبيل إلى ذلك هو الاعتراف بالاختلافات الثقافية داخل الإطار العام للوحدة السياسية والاقتصادية للدولة . وتلجأ الدول القائمة على تعدد القوميات إلى مبدأ العقاب على وجود هذه الاختلافات والإيمان بأن الوحدة بين القوميات تؤدى إلى ازدهار وسائل تسكامل الأقليات بهيئتها وتقاليدها فى حياة المجتمع الأكبر المحيط بها^(١) .

ولعل سويسرا هى المثال الحى للاستخدام الكامل والمستقر لسياسة التعدد . إذ أن الفرنسيين والإيطاليين السويسريين ليسوا أقليات بالمعنى المتعارف عليه منذ عدة قرون . ولم يتغلوا عن خصائصهم اللغوية والثقافية وبذوبوا فى الألمان السويسريين الذين يكونون ثلاثة أرباع السكان . ونجاوزت الوحدة السياسية والاقتصادية

1. Janowsky, op. cit., p. xiii.

الاختلافات الثقافية . ولقد أسهمت عوامل الموقع الجغرافي ، ووجود دول ثلاث قومية تعضد كل منها الأقليات الثلاث في الاتحاد القيدرالى السويسرى ، والأيدىولوجية الديمقراطية ، وغير ذلك من العوامل - أسهمت كل هذه فى حدوث ذلك التطور .

أما كندا فكافت أقل نجاحا فى سياستها الخاصة بالتمدد الثقافى . وقد اتبعت الولايات المتحدة هذا الأسلوب إلى حد ما فى تعاملها مع الاختلافات الدينية وأيضاً فى سياستها تجاه هفود أمريكا ، وفى مواجهة سياسة منع قيام النقابات الخاصة ، والصحف الأجنبية اللغة ، والمدارس الخاصة بكثير من الجماعات المهاجرة . ويوجد التمدد الثقافى والاجتماعى فى أقصى درجاته بالولايات المتحدة ، وفى أدناه بجنوب أفريقيا ، وتقع المكسيك والبرازيل فى مركز متوسط .

ولقد أصبحت الأغلبية الساحقة من السكان فى الولايات المتحدة (أى جميع الشعب باستثناء المهاجرين البعد والمجموعات المبعثرة من الهنود الأصليين والاسكيمو) فى حالة تمدد ثقافى ، وانطلمست معالم الحضارات الإفريقية تماماً بين العبيد ، بصرف النظر عن بعض الفوارق الثقافية الطفيفة بين الزنوج والبيض (بعد أن برز نظام الطبقة الاجتماعية) .

ولعل مرجع هذا التطور يعود إلى تدهور عدد الهنود
الأمريكيين ، وفقدان أهميتهم الاجتماعية أو امتصاصهم الثقافي في
المجتمعات البيضاء المحيطة بهم أو مع الزنوج أو المكسيكيين
الأمريكيين . فقد انصهرت معظم الجماعات المهاجرة بعد مرور جيلين
أو ثلاثة من وصولهم إلى أمريكا بدرجات مختلفة من القعدد الثقافي
مع الأوروبيين في الشمال والجنوب والغرب ، ومع الأسبان الأمريكيين
ومع الآسيويين هناك

وهناك — بطبيعة الحال — تعدد ثقافي آخر أقل أهمية يقوم
على السن ، والطبقة ، والديانة ، والتقسيمات الثقافية ، والسمات
الإثنية الفرعية بالولايات المتحدة ، ولكن الانقسامات الثقافية
الجوهرية غير موجودة .

بهذا نرى أن هناك تجارب مشتركة كافية عبر أنحاء العالم
توضح أن الشعوب المتنوعة الأجفاس أو الأصول لا تواجه بالضرورة
مشاكل التعامل والنفرة داخل جماعاتها . وعلى الرغم من ذلك ، فإن
تقدم الجماعة تقدماً فعلاً يتطلب التخلص من فكرة الدولة القومية
ذات المثل الأعلى الخاص بثقافتها الواحدة الموحدة ، وضرورة تخلي
الأكثرية عن مطالبها في السيادة الثقافية والتفوق . وفي المقابل ، على

الأقليات أن تتغلى عن أملها في الانفصال السياسي والاقتصادى في كثير من أجزاء العالم وقد يمسك التعدد الثقافي بعد سفوات من النجاح أن يقلل من التوتر والفرقة وأن يجعل القلق والصراع بين الدول أقل حدة .

٣ — الحماية القانونية للأقليات :

يقرب من النموذج الجمعى أن يتبعه سياسة حماية الأقليات بواسطة الدستور والقانون والأعمال الدبلوماسية . ويعتبر هذا النوع في الغالب تعددا ثقافيا رسميا . ولكن التأكيد على الحماية القانونية يعنى أن هناك جماعات لها وزنها وأهميتها لا تقبل ضمنا النموذج الجمعى فمثلا كانت دساتير بلغاريا وتركيا بعد الحرب العالمية الأولى تضمن حق الاستقلال الذاتى للأقليات . كما أن التعديلات ١٣ و ١٤ و ١٥ لدستور الولايات المتحدة — رغم وحدة الهدف منها — تفشد حماية مساواة الأقليات في الحقوق ، وبخاصة الزوج الذين هم في وضع لايسمح لهم بتحقيق ذلك الهدف ، فضلا عن أن التشريعات الحديثة للمساواة في ممارسة العمل في ثلاث وعشرين ولاية لها أغراض مشابهة . ويتنوع أسلوب الحماية القانونية بتنوع الدول . ويعنى هذا

أيضا أن هناك جماعات كثيرة لا تقبل مبدأ الحقوق المتساوية للأقليات . ومن ثم نتحتم تطبيق قوة القانون إيجابية عليها . وقد تكون أحكام الأمم المتحدة معنوية أكثر منها قانونية في مضمونها ، ولكنها تنادى بإقامة قانون دولي حاسم يدين أنواع الإبادة الجماعية للشعوب ، والذي كان جزءا من سياسة هتلر . كذلك اهتمت معاهدة فرساي بالأقليات وبخاصة في الإمبراطورية النمساوية — المجرية القديمة التي نبعت منها كثير من الصراعات . وبعد « حق تقرير مصير الشعوب » أحد المبادئ التي تضمنتها النقاط الأربعة عشر للرئيس الأمريكي وودرو ويلسون . فإذا أمكن تحقيقه فإنه يمكن التغلص من الأقليات « القومية » بتكوين دولة من كل أقلية إذا رغبت في ذلك . ولقد قام هذا الحل على افتراض أن الدولة ذات الثقافة الواحدة واللغة الواحدة أكثر قابلية للنجاح ، إلا أنه قلل من أهمية العوامل الاقتصادية التي تطالب يوحد الجماعات المتعددة ، وأتجه إلى تشجيع الوعي الذاتي بثقافة الجماعة قليلة الشأن بأكثر من تشجيعه التعاون بين الجماعات المختلفة الأكثر أهمية . بل أنه يستحيل تنفيذه من الناحية العملية بدون حدوث هجرات ضخمة ، لأن كثيرا من الأقليات مبعثرة في « أماكن » صغيرة متفرقة في أنحاء العالم ولكن يعد

هذا الحل — بصفة عامة — تعولاً له أهمية لصالح « السلام » إذ أنه وجه اهتماماً واعياً محدداً نحو حقوق الأقليات ، وبخاصة في الحالات التي يتم فيها إهمال مبدأ تقرير المصير ، كما حدث في غالبية الأحوال ، فيصبح من الضروري الاتفاق من جديد على التعمد الثقافي داخل الدول .

ومن الواجب أن يكون ضمن شروط هذه الاتفاقات النص على الحريات المدنية والدينية وحق للمواطنة الخ . . وهنا يلاحظ أن الأمم المتحدة لم تلتزم مسار عصبة الأمم بشأن مشاكل الأقليات لعدة أسباب^(١) :

فلقد طبقت العصبة أحكام الحماية القانونية أساساً على الدول المهزومة والدول الجديدة في شرق أوروبا . أما الأمم المتحدة — نتيجة اهتمامها الأكبر بمشاكل العالم — ككل — كان عليها أن تخوض مشاكل الصراع الدبلوماسي والدولي . وفي غمرة اندفاع الولايات المتحدة لمساندة أمريكا اللاتينية أكدت على عدم تدخل الأمم المتحدة في الشؤون الداخلية للدول . ولهذا نادراً ما كانت تؤيد الجهود المبذولة

1. Claude, op. cit.

لحماية الأقليات داخل أى دولة من الدولة . كذلك لم يقبل الاتحاد السوفيتى الإشراف، الدولى على البلاد التى أراد أن يضعها تحت سيطرته ، فضلا عن أن بعض الدول قد وجدت أن بعض أفراد أقلياتها القومية غير موالين لها خلال الحرب العالمية الثانية . وهكذا لم تحب كل من القوتين الأعظم — الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى — بمناقشة سياسات الأقليات داخل الأمم المتحدة . ونتيجة لكل هذه العوامل ، أصبحت مشكلة الأقليات مسألة قومية داخلية مقدسة منذ عهد عصبة الأمم ، وليست مشكلة عالمية يمكن مناقشتها أو حلها بفجاح على مستوى المنظمة الدولية .

على أن هذا لا يعنى أن الأمم المتحدة لا تهتم بالأقليات ، فان هناك تأكيداً متزايداً على حقوق الإنسان وحقوق جميع الأفراد كأفراد ، وليسوا كأعضاء فى جماعات ، كما أعطت الأمم المتحدة إهتماماً خاصاً لعملية نقل السكان ، لأن الجهد والفعالة لحماية الأقليات بوسائل قانونية دولية كانت ضعيفة ، وكان تأثير النشاط القانونى كإجراء لحماية الأقليات هدفا لتعقيدات كثيرة . ومن المؤكد أن السياسة التى وضعتها معاهدات فرساي لم تتحقق بقدر كبير من الفجاح - فيما عدا تشييكوسلوفاكيا (والى لم تسكن مستعمدة على الإطلاق

للمعمل في ظل تطبيق الحماية الدولية عليها) . إلا أن هذا الضعف كان - إلى حد كبير - انعكاسا للضعف العام الذي أصاب عصبة الأمم ، والصرعات الحادة التي ميزت فترة ما بين الحربين ، وكان أيضا - إلى حد بعيد - إنعكاسا لعدم القدرة على حماية الأقليات عن طريق اتخاذ إجراء قانوني دولي بما لا يمكن تقريره في ضوء هذه التجربة المحدودة . أما الأمم المتحدة ، فقد اهتمت - عن طريق كثير من وكالاتها المتخصصة - بمشكلة الأقليات ، وتمكنت إلى حد ما من تطوير أساليب أكثر فعالية على نحو ما سيرد ذكره تفصيلا فيما بعد .

٤ - نقل السكان :

تبنت جماعات الأقليات في بعض الأحيان أسلوب نقل السكان ، كمحاولة لتقليل مشاكل الأقليات . ويتمشى هذا الإجراء مع هدف الانفصال لدى بعض الأقليات أملا في تخفيف حدة التوتر عن طريق الانفصال المادي . ولقد كان نقل السكان يتم الأحيانا بطريقة سلمية ، مع إعطاء بعض الاهتمام لحقوق أفراد جماعة الاقلية ورغباتهم ، ومع اهتمام عام بتحسين أوضاعهم . ولكن الحالة الأكثر شيوعا هي اتباع سياسة تمييز كامل تهدف إلى « حل المشكلة عن طريق طرد أفراد جماعة الأقلية خارج البلاد . وكمثال للشكل الأول ما حدث في العشوينات من

من تبادل عادل ناجح بين اليونان وتركيا وبلغاريا . ومع ذلك ، فإن هناك الكثير من العقبات التي تحول دون تعميم هذه الطريقة ، إذ أنه عندما يتم النقل على أساس التبادل ، فإن كثيرا من أفراد الأقلية قد لا يرغبون في التحرك . إذن فالى أى مدى يجبر هؤلاء على الحركة ؟ كما أنه قد لا يكون حجم الأقليات متوازنا ، أو قد يمارسون وظائف ومهن مختلفة ، فهل يمكنهم — فى ظل هذه الظروف — أن يتقبلوا الحماية فى أراضى جديدة ويتم امتصاصهم فيها ؟ ومن هنا تتمثل المشكلة الأساسية فى أن هذه الوسيلة تفترض شعبا متجانسا يحقق أمما أكثر باتباع هذا الإجراء فى الوقت الذى يكون فيه نقل الأقليات أحد الأسباب الأولية للصراع .

وإذا كان لنقل السكان فى بعض الأحيان نوايا طيبة ، إلا أنه غالبا ما يمارس بصورة عدائية ومتحيزة من جانب الأكثرية . وقد يأخذ النقل أحد أسلوبين : أسلوب مباشر ، وأسلوب غير مباشر^(١) ، ففى الأسلوب المباشر تؤثر الأقلية بالرحيل أو تجبر عليه بطريقة معينة . ولقد قامت كثير من الدول والمسدن بطرد اليهود فى

1. Peterson, William, "A General Typology of Migrations", American Social Review (ASR) (June 1958), pp. 261-263.

القرون الوسطى ، كما طاردت الولايات المتحدة المهفود الحمر من إقليم
آخر ، وقام الاتحاد السوفيتي بترحيل أو نفى ملايين من مواطنيه
المنتمين إلى أقليات دينية وقومية خلال الحرب العالمية الثانية ، وانبع
النظام الغازي في ألمانيا أساليب قاسية للوصول إلى دولة متجانسة عن
طريق إقصاء أعداد كبيرة من أقليات كثيرة بالقوة .

أما السياسة غير المباشرة ، فتتكون بحمل الحياة غير محتملة
لأفراد الأقلية ، حتى أنهم « يختارون » الهجرة . وبهذه الطريقة طرد
العظام القيصري في روسيا ملايين اليهود . وكان هذا الأسلوب أيضاً
جزءاً من سياسة ألمانيا . وبعد الحرب العالمية الثانية لاقت الجهود
المبذولة لقليل مشا كل الأقليات في أوروبا عن طريق نقل السكان ،
قدرأ عظيماً من التأييد ، وأوضحت الرغبة السائدة في شرق أوروبا
لإبعاد « الأقليات غير الموالية » قدرأ كبيرأ من التحامل والتعصب
المطبقين ، فنتيجة لعدم بذل جهد يذكر للتمييز بين الأفراد الموالين وغير
الموالين من الأقليات القومية . كما تتمشي هذه الوسيلة مع بعض
الأساليب التي اتبعت في الولايات المتحدة في المناطق التي كان يوجد
بها أقليات تفحدر من أصول يابانية ، وكان غالبيتهم موالين للولايات

المتحدة ومع ذلك طردوا إلى الغرب ، وأرغموا على العيش داخل معسكرات شديدة القيود .

إن نقل السكان قد يكون ممكنا في حالات محدودة ، ولكنه صعب التطبيق في العالم المعاصر في معظم الأحيان ، رغم أنه يؤدي بالفعل إلى تقليل مشاكل الأقليات . فهو يتطلب ثقافة مثالية موحدة أصبحت في زمن الحركة السريعة ووسائل الاتصال الدولي المتقدمة مسألة قليلة الأهمية . ولكي تصبح هذه الوسيلة ذات فاعلية ، لابد من وقف حركة السكان عندما تتعارض مع مطالب العمل أو مع أية تغيرات اقتصادية أخرى تفاقى مبدأ عالمية الاقتصاد . وباختصار ، فإن هذا الأسلوب — حق إذا أمكن تحقيقه بطريقة إنسانية — فإنه ينتهك أغلب الحقوق الأساسية للأفراد^(١) .

٥ — الإخضاع الدائم :

تهدف السياسات السابقة إلى التعاون مع الأقليات داخل المجتمع

1. Claude, op. cit., especially Chap. 8, 10.

أو أقصائهم عنه . وعلى الرغم من ذلك فقد لا ترغب الجماعة المسيطرة في الغالب في كلا الفئحتين ، فهي تريد جماعات الأقلية حولها ، ولكنها تريد في نفس الوقت أن تحتفظ بهم « في مكانهم » خاضعين مستغلين . وقد تقدم الجماعة المسيطرة بعض الوعود لتحقيق المساواة في النهاية ، ولكنها مجرد وعود لا تتحقق في معظم الأحوال . فمعدل البيض في جنوب أفريقيا لا يوحى بأنه سيأتي الوقت الذي يصبح فيه السود على قدم المساواة مع البيض ، وعلى الرغم من ذلك يظل الأبيض يعيش في حالة رعب من مجرد التفكير في دولة بلا زفوج ، إذ من الذي يقوم بالعمل الشاق في هذه الحالة ؟

وقد قام الكثيرون بتشجيع الهجرة الواسعة النطاق في الولايات المتحدة ، على أمل أنها ستؤدي إلى رخص الأجور . ولكن أصبح من الصعوبة بمكان في الوقت الحاضر إصدار قوانين تشجيع هجرة المكسيكيين إلى الولايات المتحدة ، نتيجة لرغبة كثيرين من ذوي النفوذ في الجنوب الغربي وفي أماكن أخرى في وجود الأقلية المستغلة . وإذا لم يمكن إخضاع الأقلية ، فسيكون بامسكان هذه الأخيرة المطالبة بأجور مساوية لما يحصل عليه المواطنون الأمريكيون . ويبدو

أن إصدار قوانين الهجرة أمر أقل صعوبة ، وبخاصة وأن الكثير
هذه القوانين يتلقاه بأسلوب الأكثرية في إخضاع الأقليات .

٦ — الإبادة أو الإفناء :

قد يصبح الصراع بين الجماعات في بعض الأحيان قاسيا متطرفا
إلى حد يصبح فيه تدمير السكان المادى لأحداها بواسطة الأخرى ،
هدفا معقولا . ولقد حدث هذا بالنسبة لبعض العلاقات القبلية القديمة ،
كما حدث أيضا في التاريخ الحديث . فالولايات المتحدة أفنت ثلثي
السكان الهنود . وكان البوير ينظرون إلى الهوتيفتوت Hottentots
وهم الشعب الأصلي في جنوب أفريقيا على أنهم حيوانات غابة يجب
اقتناصها بلا رحمة ، فاهيك عن قتل ألمانيا لسعة ملايين يهودى فيما
بين أعوام ٣٣ — ١٩٤٠ .

إن هذه الأساليب الستة للجماعات المسيطرة ليست بطبيعية
الحال على سبيل الحصر . فقد تمارس الأغلبية أنواعا أخرى كثيرة
يمثل بعضها خططا واعية طويلة الأجل ، ويتعلق بعضها بحالات خاصة
معينة — كما أن بعضها الآخر يعد نتاجا لسياسات أخرى (ربما غير

مقصودة) . وفي بعض الحالات تأخذ شكلاً رسمياً من جانب جماعة
الأكثرية ، ولكنها في جماعات أخرى تكون مجرد ردود فعل
يومية لدى أفراد الجماعات المسيطرة . لذلك فإن كثيراً من هذه
الأساليب تتراوح عند التطبيق ما بين القبول التام لوجود الأقلية ،
إلى القسامح ، إلى الإبادة حسب الظروف .

الباب الثالث

أسباب وجود الأقليات وتطورها

الجدور التاريخية للأقليات :

يفطوى تاريخ كل أقلية على عناصر فريدة خاصة بها تتضمن القليل من الخصائص والمبادئ المشتركة . ونتيجة لسكون الأقلية جماعة من الناس تتميز بسمات طبيعية واجتماعية معينة ، فإن ما يؤدي إلى وجود شعب متعدد الأعجناس يخلق بالتبعية حالة أو وضع أقلية . ويقوم تعدد الأعجناس على عتائد قومية وثقافية ودينية وعرقية ، أو بعبارة أخرى يقوم على خصائص تحددها الأغلبية الأكثر سلطانا والأعظم نفوذاً

وتؤدى الهجرة ، والاحتكاك الثقافي ، والغزوات الحربية إلى تنوع الشعوب . كما أن هذا التنوع يرتبط بالتكنولوجيا الحديثة وتطور وسائل الانتقال . ولذلك ، فإن مصدر الأقليات يعود إلى

تلك تطابق عناصر الاقليم والشعب والثقافة والسلطة السياسية^(١). وعلى الرغم من ذلك، فإن علم الأنثروبولوجيا يوضح أن المجتمعات المتجانسة لديها القليل من الجماعات التي تحمل سمة التماثل. وأنه إذا وجد صراع وعداء ما فإنهما يتركزان على أفراد لا على فئات من الشعب. ولعل تماثل المجتمع الحديث بعد البيئة المماثلة لوجود الأقلية فيه.

ولقد أصبح تطور الدولة القومية حقيقية رئيسية عند بحث أصول القوميات، نتيجة أبسط السيادة على جماعات كانت منفصلة فيما سبق، مع الرغبة العامة المشتركة في خلق أمة متجانسة (وبالتالي محاولات تقليل التعدد الثقافي) مما أدى إلى خلق العلاقة بين الأغلبية والأقلية. وقد صور واجلي وهاريس هذا التطور المخالف لأسس المجتمعات القبلية بقولهما: «إن عالم الفرد في المجتمعات البدائية يفقر إلى حد كبير لوجود البدائل. فالشكل يتكلم بلغة واحدة، ويمارس عادات واحدة، وينتمي إلى نفس الجذور الطبيعية. ولهذا لا يحتوى التظيم الاجتماعي البدائي على أي إجراء للتعاون داخل

1 Wirth, op. cit., p. 365.

وحدة اجتماعية واحدة من جانب مجموعات الأفراد الذين لا يرتبطون مع غيرهم بروابط القرابة أو الزواج ، ويتبعون عادات مختلفة ، ويمززون قيما محددة لهم - أى الذين هم باختصار - شعب أجنبي بالنسبة لهم .

وقطع عندما تتطور الدولة ، تصبح المجتمعات البشرية مزودة بشكل للتنظيم الاجتماعى يربط ما بين الجماعات غير المتجانسة - ثقافيا وعضويا - أو من يسمون « غرباء » فى كيان اجتماعى واحد . وعلى الرغم من ذلك ، لا يؤدى تطور التنظيم فى الدولة إلى إحلال المبادئ التى تحقق الوحدة بين الشعوب البدائية بصورة كاملة ، إذ لو أن هذه الوحدة قد تحققت ما كانت الأقليات المعروفة فى الوقت الحاضر لتوجد ، ولما استمر كثير من الناس - حتى فى المجتمعات الحديثة الحضرية غير المتجانسة - ينظر إلى العالم نظرة قبلية ، ولما اتجهت الجماعات المسيطرة بوجه خاص إلى العمل كما لو كان مجتمع الدولة الذى تنتمى إليه - من الناحية النظرية - قائما على أساس خصائصهم العنصرية والثقافية وحدها^(١) .

1. Wagly, C. & Haris, M., "Minorities in the New World" . O cit., pp. 241-242.

ولا ريب أن أوضاع « الأقلية » و « الأكثرية » أوضاع قديمة ، ولكن نقيجة لبزوغ القوميات التي صاحبت عصر النهضة ونمو التجارة ، أصبحت مشكلة الأقليات في غاية الأهمية ، وأصبح العجار والملوك يطالبون بتحقيق الوحدة القومية في نفس الوقت الذي تكون فيه لدى الأقليات وعى ذاتي . وتناقضت نظريات السيادة القومية والحقوق الإلهية للملوك مع مطلب العالمية الذي نادى به البابا من ناحية ، ومع السعى لتقليل نفوذ الإقطاع من ناحية أخرى . ومع الأخذ بسياسة المركزية القومية ، استحدثت الأغلبية تظيمات تابعة لها ، وطالبت الأقليات - بدرجات مختلفة من الشدة - بالتوافق أو التكيف مع تلك الأغلبية .

وعندما بدأت القومية تنبعث في شعوب متنوعة تنوعاً كبيراً في وسط أوروبا وشرقها بتأريخها الحافل بالسيطرة الاستعمارية ، كان لدى الأقليات الثقافية شعور جارف بالتفرد يقاوم إمام الوحدة الكبرى . إذ أن قروناً طويلة من السهرة قد أدت إلى الشعور

بالإنفصال الذى لم يكن من السهل إزالته على حد قول مكارتني،
(١) Macartney

ومع نمو القومية ، تطورت مشاكل جديدة للأقليات نتيجة انتشار الاستعمار وموجات الغزو المتزايدة . بل وتفاعلت عفاصر متباينة الثقافة والدين والعرق فى إطار سيامى عام مقشابه مع تزايد قوة أوروبا . وواجهت الجماعات المسيطرة مشاكل جديدة تتعلق بالسياسات الواجب اتباعها نحو جماعات الأقليات . وتوالت ألوان من الإبادة والاستبعاد والقسامع والامتنصاص فى أزمنة وأمكنة مختلفة ، وبخاصة بعد ظهور الأقليات « المستوردة » أو القادمة وتكون المستعمرات ، إلى جانب الأقليات « الداخلية » (أى الأقليات داخل الدولة الأم)^(٢) .

أصول الأقليات القومية :

يمكن تتبع أصل تعبير « الأقليات القومية » ابتداء من أوروبا ،

1. macartney, C.A., "National States and National Minorities", (Oxford, 1934).

2. Laski, Harold J., "A Grammar of Politics" (London : George Allen and Unwin, 1941), p. 218.

حيث كان ينطبق على جماعات قومية كثيرة تحدت في مناطق معينة نتيجة استقرارها الطويل بها ، وإن كانت قد فقدت سيادتها على تلك الأقاليم لصالح شعوب أكثر عدداً تنتمى إلى قوميات مختلفة . وفي بعض الأحيان ، لم تعد جماعات الأقلية تحتل مناطقها الأصلية ، وانتشرت بداخل أنحاء دولة ما ، وأصبحت تلك الجماعات فيما بعد ضمن رعايا هذه الدولة . أما الحالة الأكثر شيوعاً ، فهي استمرارهم في نفس المكان ، ولكن في مراكز ثانوية أو تابعة ، فقد أصبحت المؤسسات الاقتصادية والسياسية المسيطرة تتجه أساساً لخدمة مصلحة الجماعة الأكبر من الناحية القومية . وعادة ما تقوم هذه الأخيرة بسن قوانين لتفظيم الوجود للسياسي للأقليات . فمثلاً يتاح للأقليات أن تمثل بزعماء مجتمعاتها الخاص في المجلس التشريعي عن طريق الاختيار أو التعيين . بل وقد يقوم القانون بتحديد المناطق التي يسمح لهم بالسكنى فيها والوظائف التي يمكنهم شغلها .

الموامل التي ساعدت على تكوين ظاهرة حماية حقوق
الأقليات^(١) :

إلى جانب نمو مبدأ القوميات الذي تحدثنا عنه كان للحركة
الاشتراكية أيضاً دور جوهري في بلورة حقوق الإنسان وحقوق
الأقليات . فعندما انشئت الدولية الاشتراكية الأولى سنة ١٨٦٩ ،
أعلنت في مقدمة برنامجها السهامي ، حق الشعوب في تقرير
مصيرها . ولقد لعبت الاشتراكية النساوية دوراً هاماً في ترويج
فكرة حماية حقوق الأقليات التي كانت مفتشرة في الإمبراطورية
النساوية المجرية . وكان للفكر الاشتراكي النساوي أثر بالغ في
الفكر الإشتراكي الروسي . ففي المؤتمر الصرى الذي عقدته
الأحزاب الاشتراكية الروسية سنة ١٩٠٧ ، اتخذ قرار بضرورة
حماية حقوق الشعب التي تكون أقليات ضمن أغلبية السكان .

كذلك لعبت الحركة الدولية دوراً لا يستهان به في نشر
فكرة حماية الأقليات ، إذ كان اليهود يمثلون أقليات أكثر

(١) د . بطرس بطرس غالى : « الأقليات وحقوق الإنسان في الفقه
الدولي » ، مجلة السياسة الدولية ، عدد ٣٩ يناير ١٩٧٥ ، ص ١١ — ٢١٧

لإضطهاداً في دول أوروبا المسيحية قبل الحرب العالمية الأولى . وقد
لازمت تلك الحركة اليهودية الحركة الصهيونية التي رأت أن
الحماية لإجراء غير كاف لحماية اليهود ، وأنه لابد - إلى جانب
ذلك - من أن تكون لهم دولة يهودية خاصة بهم .

وهناك عامل آخر كان له دور هام في بلورة فكرة حقوق
الأقليات ، وهو سياسة حق تقرير المصير ، ذلك الحق الذي كان
شعاراً من شعارات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، وأحد المبادئ
الأربعة عشر التي نادى بها الرئيس الأمريكي ويلسون . فإن الوعد
بمنح شعب حق تقرير مصيره ، يستتبعه اعطاء الأقلية التي تعيش في
وسط هذا الشعب ، ضمانات خاصة لحمايتها . والخطوة المنطقية
الثالثة ، أن يعطى الإنسان الذي تتكون منه الأقلية حقوقه وتكفل
له حرياته الأساسية على قدم المساواة مع أفراد الأغلبية .

حقوق الأقليات القومية .

ذكرنا أن البلاد التي تضم سكاناً متجانسي الجنسية قليلة العدد
في العالم ، إذ أن كثيراً من البلاد فيها أقليات قومية نشيطة وفي
بعضها الآخر أقليات كامنة . وفي أوروبا ، تعد الدول الغربية —

بصفة عامة — أ كثر تجانسا من الدول الشرقية^(١) . ويرجع ذلك إلى أن شرق أوروبا كثيراً ما تعرض في الماضي لغزوات من شعوب محاربة قدمت من آسيا وتحركات اختلاط كبرى في الأجناس ، بالإضافة إلى أن الدول القومية قد تمت في الغرب قبل الشرق بفترة طويلة ونجحت في ادماج شعوب صغيرة عديدة ضمن وحدات قومية كبيرة . وعندما حاولت الدول الشرقية بعد ذلك أن تحذو حذو الغرب بادماج أقليتها فشلت ، نتيجة نمو الوعي القومي الشديد لدى كل شعب في تلك الأثناء ، ونتيجة لتصاعد المبادئ التحررية التي جعلت إمتصاص أية أقلية كبيرة عن طريق الضغط الرسمي للدولة ، أمرا شبه مستحيل .

ولقد أفضت معاهدات السلام على ١٩١٩ و ١٩٢٠ إلى تكوين عدد كبير من الدول القومية الجديدة . وهي المعاهدات التي فرضت التزامات معينة على الدول التي تضم أقليات قومية كبيرة بقصد حماية هذه الأقليات ضد التجريد من القومية^(٢) :

(١) فردريك : القومية و التاريخ والسياسة ، ترجمة د . عبد الكريم أحمد (القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨) ص ٢٨٢ - ٢٨٥ .
(٢) د . بطرس بطرس غالي : الأقليات وحقوق الإنسان في الفقه الدولي ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

١ — معاهدات خاصة سميت بمعاهدات الأقليات ، وأبرمت بين الحلفاء المنتصرين وكل من يوغسلافيا ، ورومانيا ، واليونان ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا .

٢ — نصوص خاصة بحماية الأقليات ، وضعت في معاهدات الصلح التي أبرمت مع الدول المهزومة وهي النمسا ، وبلغاريا ، والمجر ، وتركيا .

٣ — نصوص خاصة بحماية الأقليات وضعت في معاهدات ثنائية ، أبرمت بين بعض الدول . مثل المعاهدات التي أبرمت بين تشيكوسلوفاكيا وبولونيا سنة ١٩٢١ ، والمعاهدات التي أبرمت بينهما أيضا سنة ١٩٢٥ ، أو مثل المعاهدة التي أبرمت بين ألمانيا وبولونيا سنة ١٩٢٢ .

٤ — تصريحات صدرت من جانب واحد من بعض الدول عندما انضمت إلى عصبة الأمم . فقد تعهدت مثلا كل من فنلندا وألبانيا والعراق باحترام حقوق الأقليات عند انضمام كل منها إلى العصبة . وقررت محكمة العدل الدولية في رأي استشاري أصدرته في أبريل سنة ١٩٣٥ أن تلك التصريحات من جانب واحد ملزمة للدولة التي أصدرتها .

أما الضمانات الخاصة بحقوق الأقليات فكانت ثلاثة أنواع :
أولاً — أن المعاهدات الدولية والوثائق القانونية التي كانت
تتضمن حماية الأقليات لا يمكن تغييرها أو إلغاؤها إلا بموافقة
مجلس العصبة .

ثانياً — أنه يجوز للأقليات أن تقدم بشكاوى لمجلس العصبة
الذى من حقه توجيه ملاحظات للدول التى تشكو منها تلك
الأقليات .

ثالثاً — فى حالة حدوث خلاف حول تفسير أو تطبيق نص
من نصوص الاتفاقيات التى تتضمن حقوق الأقليات ، فإن محكمة
العدل الدولية الدائمة هى جهة الاختصاص لتسوية المنازعات المترتبة
على ذلك الخلاف .

وعهد إلى عصبة الأمم بالرقابة العليا على تنفيذ هذه المعاهدات .
وقد بذلت عصبة الأمم فى الواقع جهوداً كبيرة لحماية حقوق
الأقليات . ولا شك أنها تركت أثراً مفيداً ، وإن كان دورها مع
ذلك قد تعرض لكثير من النقد ، ورأى الكثيرون أنه دور غير
فعال . إلا أن ذلك لا يرجع إلى نقص الحماسة أو الكفاية لدى

العصبة ، بل للصعوبات الضخمة المتأصلة في المشكلة ، وكانت حقوق الأقلية التي تضمنها معاهدات الصلح قاصرة على مجال ضيق جدا ولاشك أن القدر الفعلي من الحماية الذي حظيت به الأقليات في الدولة المساوية القديمة كان أكبر بما تضمنته المعاهدات . وإذا كانت بعض الدول التي انبثقت عنها قد منحت أقلياتها حقوقا أوسع إلى حد ما من الحد الأدنى الذي وضعه المعاهدات ، بيد أن معظم الدول الجديدة نفرت من القيد على سيادتها الذي تنطوى عليه معاهدات الأقليات . وعارض بعضها بشدة الخضوع لآية رقابة دولية على أساس أنها لا تتفق واستقلالها القومي ، ومن ثم حاولت التهرب من التزاماتها . بل أن بولندا نبذت علانية التزاماتها بمقتضى المعاهدة ، وتدمرت الدول التي تكوَّفت بمقتضى معاهدات الصلح بصفة خاصة بدعوى أن الدول الكبرى لم تفرض عليها أية للالتزامات مماثلة لمصلحة الأقليات . ولم تخضع ألمانيا لمثل تلك القيود ، ومن ثم تمكن الفاشيون من معاملة الأقليات بوحشية .

وأخيراً ، فإن سياسة العصبة اتسمت بالتردد والضعف في معاقبة التصرفات التحكيمية التي ارتكبتها الدول الأعضاء والتغافل في إصلاح الأخطاء . وكان ذلك نهاية لامفر منها نتيجة

لمستور العصبية ذاته ، والافتقار إلى أية سلطة حقيقية في فصوصه .

ويمكن تلخيص أسباب إخفاق نظام حماية الأقليات في عهد عصبة الأمم اخفاقا تاما في أسباب ثلاثة رئيسية :

١ — أن النظام الذى كان يرمى إلى منع العنصرية بين الأغلبية والأقليات وحماية هذه الأخيرة من اضطهاد تلك — هذا النظام نفسه كان قائما على التمييز بين الدول المنتصرة التى تطالب بتطبيق نظام حماية الأقليات والدول المهزومة التى فرض عليها هذا النظام .

٢ — أن هذا النظام قد فتح ثغرة سمحت لبعض الدول أن تتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى باسم حماية الأقليات . وقد استغلت ألمانيا الهتلرية هذه الثغرة ابتداء من سنة ١٩٣٣ لتتدخل في الشؤون الداخلية لمعظم الدول الأوروبية ، على أساس أن بها أقليات من أصل ألماني ، وأن على ألمانيا أن ترعاها وأن تحميها . وكان انفجار الحرب العالمية الثانية بسبب أزمة دانزج^(١) بشكل

(١) وقد نصبت هذه الأزمة نتيجة مطالبة هتلر بإرجاع مدينة دانزج التابعة لبولونيا إلى الريبخ الألماني نظرا لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية، ورفض الحكومة البولونية الخاضوع لتهديدات هتلر وقطع المفاوضات بين ألمانيا وبولونيا .

غير مباشر ، أثر من آثار هذه السياسة التوسعية (سياسة فتح المجال الحيوى) .

٣ - أن نظام حماية الاقليات كان مرتبطا بنظام عصبة الأمم؛ فالانهيار الذى أصاب المنظمة الدولية امتد إلى ذلك النظام .

حقوق الاقليات فى ظل الأمم المتحدة :

تغير الوضع فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، كرد فعل للاضطهاد العنصرى الذى صاحب سيطرة النازية على أوروبا . واستقر رأى كل من إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة على ضرورة تمهدها ببناء عالم أفضل بعد أن تُنزع الحرب أوزارها .

وصدر تصريح الأطلاعى عام ١٩٤١ . والتصريح عبارة عن مجموعة مثل اتفق عليها الطرفان تفاسب الروح الديمقراطية الغربية (ولم تكن الولايات المتحدة قد خاضت فحار الحرب بعد) ومن ضمنها حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وتعاون الشعوب بلامتمايز فى المجال الإقتصادى ، ووضع قواعد للسلام على أساس أن يعيش الناس جميعا فى مختلف الأقطار فى حرية وفى مأمن من الخوف والموز .

وسارت الإنسانية خطوات بعيدة نحو نبذ التعصب المنصرى وإقرار المساواة بين الألوان والأجناس ، وتأخى الناس جميعاً في ظل تنظيم دولى جديد . وجاء ميثاق الأمم المتحدة - وقد حل محل عهد عصبة الأمم لتحقيق أغراض السلام ، ووضع حد للمنازعات المسلحة بين الدول ، وتعاون البشر فى المبادئ السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية - ليعلن مبادئ سامية فى المساواة بين الناس .

وعندما وضعت الحرب العالمية أوزارها ، لم يوضع نظام خاص لحماية الأقليات فى معاهدات الصلح التى أبرمت فى سنة ١٩٤٧ مع الدول المهزومة ، وهى إيطاليا وبلغاريا وفنلندا والمجر . واكتفت تلك المعاهدات بالنص على التزام الدول التى كانت أعداء بأن تضمن لسكافة الأفراد الخاضعين لسكانها ، العمتع بحقوق الإنسان والحريات الأساسية بلا تمييز ، بسبب الاصل ، أو اللغة ، أو الدين ، أو الجنس . وهذا يظهر فارق كبير بنظام الأقليات فى ظل عهد عصبة الأمم ، ونظام حقوق الإنسان فى ظل الأمم المتحدة ، إذ لم يكن يوجد أى جهاز قضائى للرقابة على احترام حقوق الإنسان من قبل الدول التى التزمت بذلك فى معاهدات الصلح . وقد كانت الدبلوماسية السوفيتية هى التى عارضت بشدة إيجاد أية رقابة من هذا القبيل .

ولم ينص ميثاق الأمم المتحدة على اختصاصات معينة المنظمة الدولية ، فيما يتعلق بحماية الأقليات ، وإن كان قد وردت في الميثاق بعض فصوص عامة تتعلق بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية . فقد ذكر الميثاق في ديباجته أن شعوب الأمم المتحدة تؤكد « إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد » . كما نصت المادة الأولى فقرة (٣) منه على أن تعمل الأمم المتحدة على (تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا والتشجيع على ذلك بلا تمييز إطلاقا بسبب الجنس ، أو اللغة ، أو الدين ، وبلا تفريق بين الرجال والنساء) ثم تكرر بعد ذلك النص على ضرورة احترام حقوق الإنسان في المادة ١٣ من الميثاق بشأن (فروع الهيئة) ، والمادة ٦٥ بشأن (التعاون الدولي الاقتصادي والاجتماعي) ، والمادة ٧٦ بشأن (نظام الوصاية الدولية) . وصدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ بموافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة بما يشبه الإجماع ، وهو تعهد أدبي دولي يؤيد المساواة بين الشعوب بلا تمييز بسبب الجنس أو اللون (المادة الأولى والثانية والسادسة) .

تعامل السلطات الوطنية مع الأقليات :

هناك حقائق أخرى تتعلق بملاقات الأكرية والأقلية تتضح في العالم المعاصر . فالسيطرة الاستعمارية على الأهالي (الوطنيين) أخذت تضعف نتيجة تفاقمات ذاتية ونفقات باهظة . ولقد امتدت سيطرة الغرب على المستعمرات لما لا يقل عن أربعائة عاما ، مما أسهم في صنع النموذج الاستعماري المعروف ، فضلا عن أنه أضاف سيادة وتحكما في كل نواحي حياة الناس مما جعل تلك السيطرة مدخلا لظاهرة جديدة ، تصورت أن وجودها قائم على امكانية احتكارية مستمرة للسلطة .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وجدت الدول الغربية أن المزايا العملية للمستعمرات قد تفاقمست إلى حد كبير ، مع تزايد أعباء الاحتفاظ بالأسلوب القديم تزايداً كبيراً . فلم تعد الأهمال الوضيعة رخيصة أو محل إقبال كبير كما كان الحال من قبل ، بالإضافة إلى أنه لا يمكن وقف الحركات السياسية الوطنية بدون قع يتطلب نفقات عالية . وأصبح الدفاع عن المستعمرات ضد الدول المنافسة عملية صعبة مرهقة ماليا . ثم أنه خلال فترة السيطرة الاستعمارية

انتشرت الأفكار الغربية عن القومية والديمقراطية والحرية التي
نذرت بها المستعمرات ضد الدول المستعمرة لها . وفي نفس الوقت ،
أضف نمو الحركات الديمقراطية داخل الدولة الأمم من النظام
الإستعماري ، واقتنع الكثيرون بأن افتقاد الديمقراطية في أى مكان
يهدد السلام العالمى^(١) .

أدت هذه العوامل وغيرها إلى تغيرات هامة في عالم المستعمرات
فقد تحطمت تماما جهود اليابان لتوسيع نطاق سيطرتها الإستعمارية .
وحررت الصين نفسها من الامتيازات غير العادية التي كانت كثير
من الدول الغربية تطالب بها أو تسعى لإقامتها بها (ولعل معارضة
هذه الامتيازات كانت أحد أسباب نمو العداء تجاه الاستعمار
بالصين حاليا ، ولعل للصين قد تعلمت هذه الدروس من الغرب
ذاته) . وحقت كثير من المستعمرات السابقة سيادتها ، إما في ظل
الكمونولث البريطانى أو المجموعة الفرنسية ، أو بالإفصال التام
عن الدولة الأم مع ما أعقب ذلك من اضطرابات وقلق ، أو عن
طريق الحكم الذاتى أو سياسة حسن الجوار الخ . وتكونت أكثر

1. Kennedy, Reymond, "The colonial Crisis and the Future"
In Linton, R. Op. cit., pp. 338-346.

من أربعين دولة جديدة كان معظمها مستعمرات قديمة وذلك منذ عام ١٩٤٥ .

ويقطن (الملونين) في أغلب الدول الجديدة أو التي أعيد تجميدها . وبهذا أخذت العلاقات العنصرية شكل العلاقة بين شعوب ذات سيادة بدرجة متزايدة . وكان لهذا الأمر له أهميته ، لا بالنسبة للشئون الدولية فحسب ، بل وأيضا في النواحي الداخلية لكثير من الدول . على أن هذا لا يعنى تفاقص السيطرة الاستعمارية عبر الحدود الوطنية ، بل يعنى فقط تغير شكل السيطرة . إذ إزداد الاستعمار الشيوعى بدرجة كبيرة في العقود القليلة الماضية . كما أن هذه السيادة لا تعنى نمو الديمقراطية ، لأن التخلص من الاستعمار لا يعنى بالضرورة كسبا لأغلبية السكان ، وإنما يمثل فقط انتقال النفوذ والسيطرة من طبقة حاكمة خارجية إلى طبقة حاكمة أخرى داخلية . ويصف بوك Bocke, J.H هذا الوضع وصفا جيدا بقوله : « هناك دليل كاف على أن أغلب الحكومات الوطنية الجديدة - وراء ستار القومية - تعارب الاستعمار باستعمال نفس أساليبه ، ولكنه لا يعود استعماراً بمد أن تم التخلص من الرأسماليين الأجانب . ويصبح الفلاح الصغير والمستهلك الفقير ضحايا هذه اللعبة

التي يطبق عليها المثل الألماني القائل بأنه (تحدث نفس النتيجة
للرء سواء عضه قط أو قطة^(١)) .

فقد تكون السياسات المتعلقة بالتصنيع وملكية الأراضي والاستيراد
والائتمان وما إلى ذلك في صالح الطبقة الحاكمة المحلية الجديدة بصفة
أساسية ، وتدفع الجماهير ثمن شعارات القومية ومعاداة الاستعمار لذلك
وجب التفحيط إلى هذا العامل من عوامل السيطرة الإستعمارية أو
الوطنية على السواء ، حتى في قرارات الأمم المتحدة لأنها تمثل - إلى
حد ما - قوة جبرية للأمم القوية على الضعيفة . ونظراً لأنها تمثل
تجاوباً مع حقوق الدول الصغرى بأكثر من مثيلاتها من المنظمات
السابقة ، فإنه يجب عدم التجاوز عن عنصر القوة المستقر فيها .

ولا يمكن إغفال أن الحركة الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل
قد أضافا بعداً جديداً للمشكلة الخاصة بوضع اليهود في أراضى كثيرة .
وفي كل مكان تقريباً توجد مجالات إحداث تعديلات جديدة على
المشكلة القديمة الخاصة بالتفاعل داخل الجماعات .

1. Lind, A.W., (ed.), Race Relations in World Perspective, Op. cit.,
p. 73.

ومن الواضح أن هناك مفاهيم راسخة عن أسباب هذه المشكلة وعن أوجه معالجتها لم تعد تناسب الباحث في الوقت الحاضر . وتتمشى السرعة التي تتغير بها علاقات الأغلبية والأقلية في العالم المعاصر مع التقدم الذي حدث في النظريات العلمية في هذا الصدد ، وبخاصة وأن كثيراً من المؤلفات التي تم تداولها لفكرة طويلة ، والمبررات التي قدمت بشأن الأنماط القائمة وأنواع التحامل والتفرقة المختلفة ، تبدو اليوم غير ذات أهمية . ولا ريب أن هذا التغير المتلاحق في الأفكار والآراء يشجع الباحثين على تقديم فرضيات جديدة ونظريات تجريبية تأخذ في اعتبارها أنه قد ثبت عدم ملاءمتها إذا ما ظهرت براهين أو أدلة أكثر حداثة .

الفصل الرابع

وجهات النظر المختلفة

بشأن علاقة الأثرية بالأثلية

المبحث الأول

موقف الفكر الإسلامى من الأقليات

يعد القسامع من السمات المميزة للدين الإسلامى تجاه الديانات السماوية الأخرى . فقد رسم القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عهد المسلمين الطريق لهم فى معاملة غير أتباع ديانهم . ففى القرآن أن الله يحث المسلمين على أن يحسنوا معاملة غير المسلمين ، وأن يكونوا معهم بررة عدولا بقوله : « لا يفهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب

المفسطين^(١) . ويبيح الإسلام للمسلمين أن يؤاكلوا غير المسلمين ،
وأن يصاهروهم مما يحلق امتزاجا بين هؤلاء وأولئك . وفي ذلك
يقول الله تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم^(٢) » .

وقد ورد في القرآن عديد من الآيات في محبة أهل الكتاب
وفي محبة النصارى ، منها ما ورد في سورة آل عمران : « من أهل
الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ،
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين^(٣) » . وكما ورد في
سورة البقرة « الذين آتاهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون
به^(٤) » . ولهذا فإن القرآن حين يتكلم عن المسيحيين من أهل
الكتاب إنما يطلب أن تكون المجادلة بينهم بالتي هي أحسن . فقد

(١) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٥ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١١٣ ، ١١٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

المسلمين^(١) . ويبيح الإسلام للمسلمين أن يؤاكلوا غير المسلمين ،
وأن يصاهروهم مما يخلق امتزاجا بين هؤلاء وأولئك . وفي ذلك
يقول الله تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
حل لهم ، والمحصفات من المؤمنات والمحصفات من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم^(٢) » .

وقد ورد في القرآن عديد من الآيات في محبة أهل الكتاب
وفي محبة النصارى ، منها ماورد في سورة آل عمران : « من أهل
الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ،
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين^(٣) » . وكما ورد في
سورة البقرة « الذين آتاهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون
به^(٤) » . ولهذا فإن القرآن حين يتكلم عن المسيحيين من أهل
الكتاب إنما يطلب أن تكون المجادلة بينهم بالتي هي أحسن . فقد

(١) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٥ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١١٣ ، ١١٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

الفصل الرابع

وجهات النظر المختلفة

بشأن علاقة الأكثرية بالأقلية

المبحث الأول

موقف الفكر الإسلامى من الأقليات

بعد التسامع من السمات المميزة للدين الإسلامى تجاه الديانات السماوية الأخرى . فقد رسم القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عهد المسلمين الطريق لهم فى معاملة غير أتباع ديارهم . ففى القرآن أن الله يحث المسلمين على أن يحسنوا معاملة غير المسلمين ، وأن يكونوا معهم بررة عدولا بقوله : « لا يفهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتسقطوا إليهم إن الله يحب

المقسطين^(١) . وبيح الإسلام للمسلمين أن يؤاكلوا غير المسلمين ،
وأن يصاهروهم مما يخلق امتزاجا بين هؤلاء وأولئك . وفي ذلك
يقول الله تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
حل لهم : والمحضات من المؤمنين والمحضات من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم^(٢) » .

وقد ورد في القرآن عديد من الآيات في محبة أهل الكتاب
وفي محبة النصارى ، منها ماورد في سورة آل عمران : « من أهل
الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ،
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين^(٣) » . وكما ورد في
سورة البقرة « الذين آتاهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون
به^(٤) » . ولهذا فإن القرآن حين يتكلم عن المسيحيين من أهل
الكتاب إنما يطلب أن تكون المجادلة بينهم بالتى هى أحسن . فقد

(١) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٥ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١١٣ ، ١١٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٢١ .

ورد في سورة العنكبوت : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقالوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا والمحكم واحد ، ونحن له مسلمون ^(١) » . بل لقد وضع القرآن أهل الكتاب في موقف السؤال والمشورة ، وأحيانا الإفتاء في الدين . ففي سورة يونس : « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ^(٢) » . وقد ورد أيضاً في سورة الأنبياء : « وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ^(٣) » . وعقد الحديث عن النصارى ، يفهم القرآن بأنهم أهل رأفة ورحمة . ففي سورة الحديد في الحديث عن السيد المسيح : « وقفينا بعيسى بن مريم وآميناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ^(٤) » وهو أيضاً يجعلهم أقرب الناس مودة في آية قرآنية بسورة المائدة يميز فيها القرآن بين المسيحيين والمشركين فيقول : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٩٤ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٧ .

(٤) سورة الحديد ، الآية ٢٧ .

نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون^(١) .
وبهذا وضع القرآن اليهود والذين أشركوا فى جانب ، ووضع النصارى
فى جانب آخر مميزا بينهم وبين المشركين . ويدعو القرآن أهل
الكتاب إلى اتباع تعاليم الإنجيل فى ذات السورة السابقة : « وليحكم
أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الفاسقون^(٢) » .

ويروى عن نبي الإسلام قوله : (من آذى ذميا فليس منى^(٣))
ومن الطبيعى أن سار الخلفاء الراشدون فى معاملة أهل الكتاب سيرة
القرآن وسيرة الرسول . والمثل على ذلك عمر بن الخطاب ، فعلى هذه
اتسع العالم الإسلامى وضم آلافا من غير المسلمين ، وعند تحقق
النصر لجيوش المسلمين التى حاربت فى ايلياء ، كان عمر حريصا على
السلم أكثر من حرصه على النصر ، ولذلك رحل بنفسه إلى هذه
المدينة ، وكتب بهنه وبين المسيحيين بها عهدا جاء فيه : (. . هذا
ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين إلى ايلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا

(١) سورة المائدة ، الآية ٨٢ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٧ .

(٣) د . أحمد شاذى : « مقارنة الأديان — قسم الأديان السماوية ،

الجزء الثالث : الاسلام » (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١) ص ١٦٢ .

لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريشتها وسائر ملتها —
أن لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينقص منها ولا من
غيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على
دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن الألباء معهم أحد من
اليهود^(١) .

وكتب عمر للنصارى فى بيت المقدس أمرا على أنفسهم وأهلهم
بتمهد فيه بسلامة كنائسهم ، فلا تهدم ، ولا تسكن ، ولهم أن يباشروا
طقوس دينهم وعبادتهم دون أى تدخل أو ضغط^(٢) .

وإذا كان الإسلام قد سمح لأهل الكتاب أو الذميين بممارسة
ديانهم وشئونهم الخاصة ، فإنه قد ألزمهم بدفع الجزية للمسلمين ،
يدفعها منهم القادر على حمل السلاح ولا تدفعها المرأة ولا العبي ولا
الشيخ ولا الأعشى — وكان أقصاها ٤٨ درهما وعلى العمال والصناع ١٢
درهما . وكانت الجزية تدفع لسببين :

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٢) راجع مقالات الامام حسن البنا التى جمعها وشرحها وعلق عليها وخرج
أحاديثها فؤاد الحمود فى كتابه بعنوان : « وميض من وراء السويم »
(الكويت : المنار ، ١٩٧٣) ص ٩٠ — ٩٧ .

١ — أن يستمتع أهل الكتاب بالمرافق العامة مع المسلمين ، كالقضاء والشرطة وغيرهما من المرافق العامة التي تحتاج إلى نفقات يدفع المسلمون قسطها الأكبر ، لكثرة عددهم ، ويسهم أهل الكتاب بالجزية في تكاليف هذه المرافق .

٢ — لا يكلف القادرون من أهل الكتاب أن يحملوا السلاح ويدافعوا عن البلاد ، بل يقوم بذلك المسلمون . ولذلك يدفع أهل الكتاب هذه الضريبة نظير أعفائهم من هذا الواجب . ويسجل التاريخ أن بعض أهل الكتاب قاموا بنصيبهم في الدفاع في بعض الأحوال ؛ فسقطت عنهم الجزية . وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب .

وإلى جانب دفع الجزية التي يدعو القرآن بشأنها المسلمين إلى (قتال) أهل الكتاب الذين يرفضون القرآن حتى يعطوا الجزية على يد وهم صاغرون^(١) ، كان الذميون يمانون ببعض المضايقات الاجتماعية (مثل إرغامهم على إرتداء زى معين ، أو ركوب حيوانات معينة ، أو تشييد مساكنهم بطرق خاصة^(٢)) وتعرضوا في بعض الأوقات

(١) سورة التوبة ، الآية ٢٩ .

(٢) أنظر في المضايقات التي تعرض لها الأقباط : د . سيدة إسماعيل كاشف ، « مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية » (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية) ص ١١٤ — ١١٩ .

إلى اضطهاد صريح^(١)، إلا أن وضعهم بصفة عامة - كان أفضل بلاشك من وضع الذين اختلفوا مع الكنيسة في غرب أوروبا في الحقبة ذاتها ، فقد تمتع المسيحيون واليهود في الشرق الأدنى الإسلامي بممارسة طقوسهم وشعائهم بحرية ، وتمتعوا بحقوق الملاكمة الفردية ، وعين الكثير منهم في الوظائف الحكومية ، بل وفي المراكز العليا بالدولة^(٢) وسمح لهم بالاحتفاظ بمدارسهم ومؤسساتهم الدينية ودور عباداتهم الخ ..

وقد اعتمدوا عليهم في ميادين عدة ، لعل من أبرزها التعليم والطب والهندسة والأمور المالية . فمن جهة التعليم ، اختار الخليفة معاوية بن أبي سفيان رجلاً مسيحياً اسكى يؤدب ابنه زياد . واختار زياد كاهناً مسيحياً اسكى يؤدب ابنه خالداً . وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يتخذ يوحنا الدمشقي مستشاراً له ، وقد اختار رجلاً معها

(١) أنظر تفاصيل المضايقات وألوان الاضطهاد التي تعرض لها أهل القبة في مصر المماليك على سبيل المثال : سعيد عبد الفتاح عاشور : « المجتمع المصري في عهد السلاطين المماليك » (القاهرة ، ١٩٦٢) ص ٤٢ - ٤٥ .

(٢) سيطر المسيحيون في بعض المناطق على جزء من السلطة الادارية . فمثلاً كان التقليد يقضى بأن تكون وزارة المالية المصرية في يد الأقباط حتى وقت قريب . أنظر :

Hourani, Albert, "Minorities in the Arab World" (London : Oxford Univ. Press, 1947), p. 21.

مشهورا لاسمه انفتيوس السكى يؤدب أخاه عبد العزيز . ولما صار
عبد العزيز بن مروان حاكما لمصر أخذ معه انفتيوس كسقفار له .
وكان الأخطل من الشعراء المسيحيين المشهورين اندمج في مجموعة
متلازمة مع جرير والفزدق التي اشتهرت في العصر الأموي . وكان
الأخطل مسيحيا حينما يدخل إلى مساجد المسلمين يقوم المسلمون له
إجلالا لعلمه وأدبه كما تروى صفحات التاريخ الإسلامي .

واهتم كثير من الخلفاء المسلمين وولانهم بالمسيحيين من كل
ناحية . فكان محمد بن الاخشيدي يبنى بنفسه الكنائس ويتولى ترميمها
وقد بنى الخلفاء المسلمون كنيسة أبي سرجة في مصر القديمة . وتولى
الخليفة المؤيز بالله الفاطمي الاهتمام بكنيسة أبي صفيين . وقد أفاض
المقريزي في (الخطط) والمسعودي في (مروج الذهب) في الحديث
عن مقدار اعتمام الخلفاء الفاطميين بالكنائس وبنائها وترميمها في
ذلك العهد .

ومن ناحية الطب ، أنشأ أول مستشفى في مصر في عهد أحمد بن
طولون . وكان الرجل من الهبين للأقباط كثيرا ، وقد اختار
مسيحيا السكى يبنى مسجد أحمد بن طولون ، واختار مسيحيا السكى
يبنى القفاطر ، واختار مسيحيا السكى يبنى كثيرا من منشآته . وكان

يذهب إلى زيارة دير القصر في أوقات كثيرة ، لأن الأديرة المصرية كانت مجالا لإنقاذ الخلفاء ، وانولاة وقت الشدائد ، وكانوا يقضون فيها الكثير من الوقت ويصادقون رهبانها وأساقفتها . فقد ابقى هشام بن عبد الملك للبطيرك في أيامه بيتا إلى جوار قصره ، وكان يستمع منه إلى عظائمه . وكان الخليفة العزيز بالله الفاطمي على صداقة كبيرة بابابا إبراهيم والأفبا ساويرس أسقف الاشموين ، وكان يدعوها إلى قصره مع رئيس القضاء .

وكان طبيب معاوية بن أبي سفيان نصراني يدعى ابن افان ، وطبيب أبو جعفر المنصور الخاص مسيحيا أسمه جرجس بن بخت يشوع ، وطبيب الخليفة هارون الرشيد جبريل بن بخت يشوع . وكان هذا الخليفة يقول للفلاس من كان مفكم له حاجة عفى فليكم فيها جبرائيل لأنى لا أرد له طلبا . وكان حنين بن اسحق من أشهر الأطباء حتى قيل عفه أنه أبو قراط عصره وجليفوس دهره . وكا قام حمين بن اسحق هذا بتعليم الكثيرين الطب ، تعلم هو أيضا اللغة العربية والفقهاء الإسلامى على يد سيديويه ، ونبغ في اللغة العربية غبوغا عظيما .

وبالإضافة إلى أن هذا التسامح قد ساعد الأديان الأخرى على

الاحتفاظ بخصائصها الأصلية ، فإنه قد لعب دوراً رئيسياً في الاحتفاظ بالأهمية الأساسية للمجتمع الدينى كوحدة اجتماعية فى الشرق الأوسط وظلت القيم الاجتماعية والسياسية للوحدة الدينية مهيمنة ، حتى بعد انتشار مؤثرات الحضارة الغربية فى الشرق ، وبدء ظهور الاتجاه نحو عدم التمسك بالتماليم الدينية . وبعبارة أخرى ، فإن ضعف ممارسة الحياة الدينية لم يؤد إلى ضعف نشاط الرجل الشرقى من الناحية السياسية والاجتماعية فى إطار المجتمع الدينى الذى يفتنى إليه ^(١) .

وبلاحظ - تفسيراً لهذه الظاهرة - أن الإسلام لا يفرق بين الدين والدولة . فرئيس الدولة الإسلامية يقوم بالوظيفتين الدينية والسياسية . وقد شكلت تماليم الدين الإسلامى الجانب المسكلى للقوانين المدنية للدولة طوال مراحل تطورها . ونتيجة لذلك ، فإنه على الرغم من تمتع أهل الكتاب بالمزايا العديدة السابق ذكرها ، كان وضعهم دائماً مضطرباً غير مستقر . ففى بلاد يعتمد كل شىء فيها على المزاج الشخصى للحاكم ، ولا تكون فيها حياة الأفراد وممتلكاتهم آمنة ،

1. Baer, Gabriel, J., "Population and Society in the Arab East", Trans. from the Hebrew by Hanna Szoke (London: Routledge & Kegan Paul, 1964), pp. 71-73.

كان المسيحيون واليهود أشد عرضة للتعاب بأكثر من غيرهم^(١) .
وقد ساعد على ثبات المجتمع الديني أيضاً عامل آخر^(٢) تميز به
الشرق الأوسط بصفة عامة ، إلا وهو تخلف الطبقات المتوسطة
والعاملة التي تعيش بالمدن وتكون أكثر نشاطاً واستعداداً من غيرها
من الطبقات لإحلال نوع جديد من الولاء يقوم على أساس قومي أو
طبقى محل الولاء القائم على أساس العقيدة الدينية .

ويورد ألبرت حوراني Hourani, A. أسباباً أخرى^(٣) أدت
إلى زيادة ضغط هذه الأقليات الدينية على العالم العربي المسلم .
فأولاً - لقد قوت الاختلافات الدينية من الفروق القبلية والقومية ،
كما حدث بين الدروز ، وهم طائفة مسامة قليلة في لبنان وسوريا ،
تطرفت بعيداً عن السفة . وثانياً - لقد دامت اختلافات الدين واللغة
والعادات بتأثير العزلة الاجتماعية من طائفة لأخرى على طول القرون
التي سبقت انتشار وسائل المواصلات الحديثة وتأثير العزلة الجغرافية

1. Hourani, Op. Cit., pp. 21-22.

2. Baer, Op. Cit., p. 73.

3. Hourani, Op. Cit.

تتبع عن بيئة مقسمة وقاسية من الصحارى والجبال . وأخيراً - كانت الحكومة أقل سيطرة خارج المدن والسهول بسبب صعوبة المواصلات ، بل انها تجاهلت بعض أنماط الحياة داخل المدن والسهول . ونتيجة لذلك ، أمكن للثقافات المحلية أن تنمو وأن تزدهر ، ثم أن تنكشف إذا ما هددها أمر ما ، وتنسحب إلى أعمق المناطق الخبيثة حيث يسهل عليها أن تحافظ على سميتها الخاصة . وهذه الطريقة كان الحكام المحليون والإقطاعيون قادرين على حماية أنفسهم .

وبخلاف هذه النتيجة ، أدت العوامل السابقة إلى نتيجتين أخريين :

١ - كانت الطوائف المسيحية واليهودية في العالم العربى والإسلامى لفترة طويلة هى الوسيط الرئيسى الذى انتشرت عن طريقه الفنون الحديثة والمفردات والأذواق والمفاهيم الغربية ، إذ كانوا هم التجار ورجال البنوك وأصحاب المصانع الأساسيين ، وكان الكثير منهم يعملون مديرين وموظفين فى مؤسسات أقامتها البيوت التجارية الغربية ، فأصبح للموارنة ارتباط تقليدى مع فرنسا ، والدروز مع بريطانيا ، والأرثوذكس اليونان مع روسيا . وهذه الروابط أدت إلى مزيج من التماسك الاجتماعى بين أفرادها .

٢ - كانوا - في العادة - محايدين بالنسبة للهراعات السياسية ضد الحكم الغربي ، ماعدا فئة قليلة من المسيحيين الذين أصبحوا زعماء للحركة القومية العربية أمثال أدب اسحق ، والهاس مرقص ، وبعض الحركات القومية المحلية الأخرى كالحركة الوطنية المصرية التي بلغت ذروتها في ثورة ١٩١٩ ، وكان غالبية زعمائها من الأقباط.

وتمسكوا من خلال هذا الدور من بث بعض الأفكار الأوروبية لأن قوميتهم ، كصهيونيين ، كانت قومية علمانية لا تصطبغ بالصبغة القومية العربية الإسلامية . وفي خلال الأعوام من ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ، كان هناك نسبة كبيرة من المسيحيين واليهود في الأحزاب الشيوعية العربية ، وذلك قبل أن تتحالف الشيوعية الدولية مع الفكرة القومية العربية السائدة^(١) .

والخلاصة أنه في السنوات الحديثة أثرت موجات القومية في العالم في مفهوم الأقليات بالشرق الأوسط . فلم يمد الشعور القومي أحد الأمور الهامة التي تفرق الشعوب بأكثر مما يفعل الدين ، بل أن

1. Berger, Morroe, "The Arab World To-day" (New York : Doubleday, 1964), pp. 237-238.

الاختلافات الدينية الباقية تجد تعبيراً عن نفسها بغزارة في كميات علمانية وقومية . والقومية العربية نفسها مثال أولى لهذا النزوع ، فما زال هناك حمية دينية وراء مظهرها الدنيوى بين ملايين المسلمين الذين يشعرون بها وإن لم يظهروا ذلك على الملأ .

المبحث الثانى

موقف الأقليات في الفكر العربى

قام أصحاب المذهب الداروينى الاجتماعى العنصرى من الأوربيين والأمريكيين في القرن التاسع عشر ، بنشر بعض المفاهيم العلمية الخاطئة التى تدعو إلى الاعتقاد بسيادة « العنصر الأبيض » . ويتضمن هذا الإدعاء تعظيم شأن العوامل البيولوجية في الاختلافات العرقية ، سواء كانت عوامل وراثية أو فردية . وعلى سبيل المثال ، ظلت المفاهيم الخاصة بعلم النفس بشأن مقاييس اختبارات الذكاء موضع افتقاع كدليل محدد على وجود الاختلافات العرقية .

وقد افترض أصحاب هذا الاتجاه - طبقاً لمقاييس اختبارات الذكاء تلك - أن للزنجى مزاجاً عنصرياً ، وأن قصوره أو عدم تبصره

وإعتماده على الغريزة يعود - في جزء منه - إلى أصله المتوارث ، وأنه يتميز بقلّة التكيف مع الحضارة المعقدة ، وأن الدم الأبيض - من ناحية أخرى - مسئول عن الطموح والتفوق من جانب ، وعن الفضيلة والأخلاق من جانب آخر^(١) . وأعطيت للزواج والهنود والمكسيكيين والإيطاليين وجماعات أخرى معدلات ضئيلة في تجارب علم النفس . على أن هذه الافتراضات لاقت معارضة قوية في أغلب الدول ، وبدأت تظهر آراء أخرى أكثر واقعية وأنا كيداً بعد الحرب العالمية الأولى . فقد ربط توماس وبارك [Thomas, W.I. and Park, Robert E.] دراسة الأقليات العرقية بمفاهيم عامة عن البنيان والنشاط الاجتماعي . ثم أضيفت أبعاد أخرى أكثر تقدماً إلى التحليل العلمي الاجتماعي . وفي عام ١٩٤٥ قدم كثير من الباحثين رصيداً غنياً من الأبحاث النظرية والوصفية التي تقوم عليها المحاولات الحالية لفهم الظاهرة موضوع الدراسة^(٢) .

1. Frazier E. Franklin, "Sociological Theory and Race Relations" American Sociological Review (ASR), June, 1947, p. 267 And E.B. Reuter "Racial Theory" (AJS), May, 1945, pp. 452-461.

(٢) أنظر دراسات :

Thumson, Charles : Dollard, John; Wirth, Louis;
Maclever, R.M.; Reuter, E.B.; Klineberg, Otto; Alport, Gordon; Lewin,
Kart; Myrdal, Gunnar; Young, Donald McWilliams, Cary & Warner, W.
Warner, W. Lloyd; Frazier, E. Franklin.

وبلاحظ وجود الكثير من المنازعات والخلافات في الرأى في مجال العلاقات بين الأكرثية والأقلية لدى المفكرين الغربيين .
فهناك من يفسر التعامل والتفرقة أساساً في ضوء المنافسة الاقتصادية أو اغراض الاستغلال ، أو الآثار غير المباشرة للمتغيرات السياسية والإقتصادية بأساليب وتفسيرات نفسية . وتفترض بعض هذه النظريات أن الفخبة الاقتصادية قد تبنت عن قصد سياسة التعامل أو التحيز من أجل الحفاظ على دوام سيطرتها^(١) . ويقوم آخرون بتفسير التفرقة أساساً في ضوء القوى الاقتصادية غير الشخصية أى الجماعية مثل مستويات المعيشة ، ودرجة التمدين والتصنيع ، ذلك دون التسليم مسبقاً بأن التعامل موجود في هذه العوامل بقدر كبير^(٢) . ولكن الكثير من علماء الاجتماع يميلون إلى تقليل أهمية العوامل الاقتصادية . بل أن بعضهم ينسكرون هذه الأهمية على الإطلاق . وتفسر بعض نظرياتهم التعامل والتفرقة على أساس خصائص مشتقة من الطفولة

1. Cox, Oliver, "Caste, Class and Race", Op. cit., Williams, Cary, "A Mask for previlage : Anti-Semitism in America" (Boston, 1948) and Locke & Stern (eds.), Op. cit.

2. Blalock, Op. cit., p. 37.

البعيدة ، وأن المشكلة تفحص أساساً في الصراع حول العقائد كما كان الحال في التقاليد المعادية للسامية في ألمانيا قبل النازية^(١) .

أما الفكر الأمريكى فيما يتعلق بالعلاقات العرقية ، بصفة خاصة ، فيلاحظ أنه على الرغم من كثرة الأبحاث في هذا المجال إلا أنها تفتقر إلى الدراسة المقارنة . وقد لا توجد من بين مئات الدراسات المنشورة عن الأوضاع العنصرية في الولايات المتحدة إلا حوالى من خمس إلى عشر دراسات مقارنة من مجموع الدراسات بالعالم كله^(٢) . ولا يزال ميدان العلاقات العرقية المقارنة غير مترابط من الناحية المنطقية وفي مرحلة بدائية ، حتى أنه ينظر فى الغالب إلى أى دراسة تعتمد على علوم متنوعة متداخلة المصادر على أنها دراسة « رائدة » ، فضلاً عن ندرة السكتابات المنسوبة عن كثير من المجتمعات من

(١) توجد هذه الفكرة بوضوح شديد لدى Rokeach في مؤلفه "Open and Closed Mind".

(٢) مثال الباحثين في مجال هذه الدراسات المقارنة .

Cox, C.; Frazier, F., Tannenbaum, Frank; Herskovits, Melville; Wagely, Charles; Beltran, Conzalo Aguirre; Freyre Galberto; Harris, Marvin; Lnd, Andrew W.; Shibutani, Tomostu and Kuper, Hild.

الناحيتين العرقية أو الإثنية مثل مجتمعات بورتوريكو ، والمكسيك ،
وأندونيسيا ^(١) .

وإلى جانب هذا القصر ، يلاحظ أن كثيراً من كتاب العلاقات
العنصرية قد قيدوا أنفسهم لا في مجال الدراسة فقط ، بل وفي الفكرة
الزمنية التي قاموا بتفطيتها . فيركز علماء الاجتماع - مثلاً - على
المجتمعات الصناعية المعاصرة دون اهتمام كاف بالماضي . ورغم حماس
علماء الأنثروبولوجيا لإعادة بناء مجتمعات تتميز بتفاوتها الأصلية قبل
غزوها ، فإنهم فشلوا - بصفة عامة - في خلق علاقة بين الأقليات
الإثنية والمجتمع السكلي الذي يحتويها . وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه
على الرغم من تركيز علماء التاريخ على الماضي بطبيعة دراستهم ،
فإن مجموع المؤرخين الأمريكيين حتى السنوات العشرين أو الخمس
والعشرين الأخيرة ، كانوا يركزون اهتمامهم على دراسة العرقية
Ethnocentrism ، ولا يهتمون بدراسة الجنس أو الأصل Race ،
وتجاهلوا كثيراً من المشاكل والمؤسسات والإجراءات المرتبطة به ،
ومفد قريب فقط ، ظهرت صورة متكاملة للتاريخ الأمريكي ، بما في

1. Berge, Pierre L. Vanden, Race and Racism, Op. cit., pp. 4-5.

ذلك العلاقات العنصرية^(١) . ومن ثم ، يفتقر كثير من علماء الاجتماع الذين تصدوا لدراسة العلاقات العنصرية للتحقائق التاريخية الأساسية ، لا لأنهم لم يكتفوا من إدراكها ولكن بالأحرى لأنهم لم يستطيعوا التوصل إلى الديناميات التي قامت بتطوير العنصرية الأمريكية . ثم أن مجال العلاقات العنصرية — بصفة عامة — قد تميز بدرجة عالية من التركيز على التطبيقات السياسية العلمية ، مع إغفال التكامل النظري مع علم النفس ، كما تميز بقدر كبير من العزلة عن المضمون الاجتماعي العام في تحليل العلاقات القائمة على العنصر أو الجنس .

وأخيراً ، فإنه على الرغم من إدعاء عدد كبير من علماء الاجتماع بأن الاستقلال والموضوعية أمران ممكنان ، وأنه يمكن الفصل بين وظائفهم كعلماء وبين كونهم مواطنين عاديين ، إلا أن معظم ما قام به علماء أمريكا الشمالية وفي مجال الدراسات العنصرية ظل حتى وقت قريب للغاية متأثراً بدرجة كبيرة بالتفاؤل والرضا الشخصي عن « صلاحية المجتمع الأمريكي » ، والحذر من الإصلاحات

١٥ « انظر على سبيل المثال .

Ward, C. Vannwood; Handlin, Oscar; Franklin, John Hope; Hofstadter, Richard and Tannenbaum, Frank.

التدريبية التي ينادى بها بعض المثقفين « الليبراليين » والإقتناع بأن حل المشكلة العنصرية يتم عن طريق إندماج وامتصاص الأقليات داخل العيار القائم على إجماع الرأى العام فى المجتمع^(١).

المبحث الثالث

موقف الأقليات فى الفكر الماركسى

تقوم الماركسية على مبدأ الأهمية ، بمعنى المساواة بين الأصول القومية للطبقة العاملة وبين أحزابها ، والجمع الشامل بين الأهمية والروح الوطنية ، والتمازج بين الأهمية والوطنية فى حياة الطبقة العاملة وجميع الكادحين ونشاطهم ، وإخضاع مصالح الطبقة العاملة فى كل دولة لمصالح الحركة العمالية ككل. ويرى الفكر الماركسى أن القومية فى الفكر والمفهوم الغربيين — أو ما يسميه بالقومية البورجوازية — هى الفقيض المباشر للأهمية البروليتارية ، وهى جزء لا يتجزأ من أيديولوجية البورجوازية وسياستها ونشاطها العلمى . فالقومية البورجوازية والأهمية البروليتارية — طبقاً لهذا المفهوم — هما شعاران

1. Berge, Op. cit., p. 5.

متضادان للفهابة ، يميزان المعسكرين الطبقيين الكبيرين في العالم
الرأسمالي كله ، ويعبران عن سياسيتين (بالإضافة إلى عقيدتين)
متناقضتين في المسألة القومية ^(١) .

ويرجع هذا التمازج بين الأمم البروليتارية والقومية
البورجوازية — في نظر الماركسيين — إلى أن وجود القومية هو
نتيجة لتطور الشعب اجتماعيا ، وليس نتيجة تطورها القومي كما يؤكد
ذلك الأيديولوجيون الرأسماليون .

أما القومية ، فهي نتيجة سيطرة الملكية الخاصة . بالإضافة إلى
أن القومية — طبقا لهذا الرأي — هي أحد الأسلحة الرئيسية التي
استخدمتها البورجوازية في الفضال من أجل السلطة ، وأنه حين
جاءت البورجوازية إلى السلطة أضفت « على جميع إدعاءاتها الذاتية
السمة القومية » كما يقول ماركس ^(٢) . وأخيراً ، تسمى البورجوازية

(١) لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٤ - مقالة بعنوان : « ملاحظات انتقادية
حول المسألة القومية » أكتوبر - ديسمبر ١٩١٣ ، نقلا عن : كنوز الماركسية
اللينينية : ماركس ، إنجلز ، لينين — حول الأمم البروليتارية والقومية
البورجوازية (منشورات وكالة أنباء تونوسى ، ١٩٧٤) س ٦٨ .
(٢) ماركس وإنجلز : المؤلفات ، المجلد ٤٧ س ٥٦٤ . الطبعة الروسية ، نقلا عن
كنوز الماركسية اللينينية ، المصدر السابق ، س ٥٥ .

— في فطر الفكر الماركسي — إلى أن تحمل الوعي الطبقي لدى الطبقة العاملة ، وذلك بفشر الروح القومية . وبمثل هذه الطريقة ، تحاول أن تحقق تصوراً عن وجود وحدة مصالح قومية لدى كافة الأمة .

وبناء على ذلك ، فإن كل سياسة الأممية الشيوعية — فيما يتعلق بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات — يجب أن تركز في المحل الأول على اتحاد أوثق للبروليتاريين والجماهير العاملة لكل الأمم والبلاد من أجل صراع ثوري مشترك للاطاحة بأصحاب الأرض والبورجوازية وأن هذا الاتحاد وحده هو الذي سيضمن الانقصار على الرأسمالية^(١) . وفي الوقت نفسه ، تعارض الماركسية بلا هوادة النزعة القومية مهما كانت « عادلة ، وفقية ، وفاعمة ، ومعمدنة » . ولا يمكن للبروليتاريا أن تساعد أي تسكويس للقومية ، بل هي — على العكس — تدعم كل ما يساعد على محو الفوارق ، وهدم الحواجز القومية ، وكل ما من شأنه أن يجعل الروابط بين القوميات أوثق فأوثق ، وكل ما يؤدي إلى

(٢) ف. أ. لينين : « في السياسة الخارجية للدولة السوفيتية » ، ترجمة أحمد فؤاد بليغ (القاهرة : مكتبة دار الفرق ، ١٩٧٣) ص ٢٦٠ .

لاندماج الأمم ، وكل نصرف خلاف ذلك معناه الوقوف إلى جانب ضيق الأفق القومى الرسمى^(١) .

على أن فكرة المصالح الإقتصادية المشتركة القائمة على عوامل اجتماعية وظيفية بحمة ، وما دفعت إليه من محاولات فى شأن دعم الأهمية الشيوعية ، لم تفلح فى القضاء على مفهوم القوميات المحلية بالمنفى التقليدى داخل الاتحاد السوفيتى^(٢) . لذلك وضع الحزب وزعيمه لهينى البرنامج الماركسى الخاص بالمسألة القومية . وكانت أهم مطالب برنامج الحزب التى أقرها المؤتمر الثانى عام ١٩٠٣ فيما يتعلق بالمسألة القومية تتضمن حق الأمم فى تقرير مصيرها ، والمساواة الكاملة لجميع المواطنين بصرف النظر عن العقيدة والقومية والجنس ، وإلغاء الامتيازات الطبقية ، وحق السكان فى استخدام اللغة القومية فى المؤسسات الحكومية والاجتماعية وفى المدارس الخ ..

كما وضع لهينى فى مؤلفاته العديدة أسس هذه المبادئ وغيرها

(١) لبنين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٤ — مقالة « ملاحظات إقتصادية حول المسألة القومية » ، الاستقلال الثانى الثقافى — القومية ، المصدر السابق ، ص ١٣١ - ١٣٣ .

(٢) د . طعيمة الحرف : « أبحاث فى المجتمع العربى — القومية العربية والتطور السياسى للمجتمع العربى » (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٥ / ٦٤ ، ص ٩٩

في البرنامج القومي ، وطورها وحدها مقدم وعلل فكرة الجمع بين الصراع الطبقي البروليتاري والصراع من أجل القضاء على الغير القومي ، وبين الصراع من أجل الاشتراكية ونضال الشعوب المستعبدة التحرري للامبرالية^(١) . وحينما وضع لينين القضايا الأساسية للحزب الماركسي في مجال المسألة القومية ، صاغ مهام البروليتاريا في هذا المجال في فترة الثورة الاشتراكية . وأكد لينين في مؤلفاته على أن يبقى لجميع الأمم الداخلة في قوام الدولة الحق في الانفصال وتكوين دولة مستقلة ، فكتب يقول : « يجب على جمهورية الشعب الروسي أن تجتذب إليها الشعوب أو القوميات الأخرى لا بالقسر وإنما بالاتفاق الاختياري الكامل على تكوين دولة مشتركة . فالوحدة والتحالف الأخوي بين عمال جميع البلدان لا يتفق مع القسر المباشر أو غير المباشر على القوميات الأخرى »^(٢) .

وطالب الحزب الشيوعي — بقيادة لينين — بالقضاء على

(١) في الذكرى المئوية لميلاد ف. أ. لينين — موضوعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي (موسكو : دار النشر للطبوعات السياسية ، ١٩٦٩) ص ١٤ ، لقلا عن : شافير : « الاتحاد الراسخ بين الجمهوريات السوفيتية ، ترجمة محمد الجندي (موسكو : دار التقدم) ص ٩ - ١٠ .

(٢) ف. أ. لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٢ ، ص ١٥٤ ، لقلا عن شافير ، المرجع السابق ، ص ١٠ .

عدم المساواة والظلم القوميين والمساواة بين جميع القوميات ، وحق جميع الأمم في تقرير مصيرها بما في ذلك الانفصال وتسكوين دولة مستقلة . وقد نشرت الكتلة العمالية الاشتراكية الديمقراطية الروسية في العدد رقم ٤٨ من صحيفة بورت برافدا (طريق الحقيقة) مشروع قانون حول المساواة في الحقوق القومية ، أو كما تنص تسميته الرسمية « مشروع قانون حول إلغاء كافة القيود على حقوق اليهود ، وجميع القيود بشكل عام المتعلقة بأصل المواطن أو انتمائه لأية قومية كانت ^(١) » .

وفي ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ أقرت حكومة العمال والفلاحين السوفيتية وثيقة هامة هي (بيان حقوق شعوب روسيا) . وقد جاء في هذا البيان بأن السلطة السوفيتية تضع حداً لسياسة القسر والغير القومى وإثارة شعوب روسيا ضد بعضها البعض ، ويحل محل هذه السياسة المشينة سياسة صريحة وشريفة تؤدي إلى الثقة المتبادلة الكاملة والائحاد الثابت بين شعوب روسيا . وجاء في البيان ^(٢) : « ٠٠ قرر مجلس

(١) لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٥ ، بورست برافدا (طريق الحقيقة) ، ١٦ أبريل ١٩١٤ ، نقلاً عن كنوز للاركسية البلينية ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٢) مراسيم السلطة السوفيتية (موسكو : دار نشر المطبوعات السياسية ، ١٩٥٢) المجلد ١ ص ٤٠ ، نقلاً عن شاميز ، المرجع السابق ص ١٥ - ١٦ .

مفوضى الشعب وضع المبادئ التالية أساساً لنشاطه فى مسألة قوميات روسيا :

- ١ — المساواة بين شعوب روسيا وحق كل منها فى السيادة .
 - ٢ — حق شعوب روسيا فى تقرير مصيرها بحرية بما فى ذلك الانفصال وتكوين دولة مستقلة .
 - ٣ — إلغاء جميع أنواع الامتيازات والقيود القومية الديقية .
 - ٤ — التطور الحر للأقليات القومية والجماعات الإثنية التى تقطن أراضي روسيا
- كما ورد فى مرسوم السلام الصادر عن مؤتمر (كل روسيا الثانى لسوفيئات العمال والجنود) من ٥ إلى ٢٦ أكتوبر (٧ — ٨ نوفمبر) ١٩١٧ أن الحكومة تعتبر « أنه من أعظم الجرائم ضد البشرية أن تستمر هذه الحرب (الحرب العالمية الأولى) حول قضية كيف تقسم بين الدول القوية والغنية القوميات الضعيفة التى قامت بغزوها ، وتعلن فى مهابة تصميمها على أن توقع على الفور شروط السلام لوقف هذه الحرب وفق الشروط المشار إليها التى هى عادة

على حد سواء بالنسبة لسكل القوميات دون استثناء^(١) .
 وجاء ستالين ليطور المفهوم القومي في الفكر الماركسي بتحديد
 أكثر . فقد عرف الأمة بأنها جماعة مستقرة من البشر ، تسكونت
 تاريخياً على أساس الاشتراك في وحدة اللغة والأرض والحياة الاقتصادية
 ووحدة التكوين النفسي التي تتجلى في وحدة الثقافة^(٢) . وأن فقدان
 وحدة واحدة من هذه المقومات يكفي بمفرده لانتفاء صفة الأمة عن
 الجماعة ، وأنه إذا كان من الضروري لسكل أمة لغة مشتركة ، فليس
 من المحتم دائماً أن تتوافر لغات مختلفة في وقت واحد . فقد كان
 الأمريكيون والإنجليز يكونون أمة واحدة يوم كانوا يقطنون أرضاً
 واحدة هو إنجلترا ، ولكن حدث أن هاجر جزء من شعب الإنجليز
 إلى الأرض الجديدة ، مما سمح لهم بأن يكونوا بمرور الزمن أمة واحدة
 في الأرض الجديدة لو لم تكن أنحاء أمريكا الشمالية مرتبطة ببعضها
 ببعض في كيان إقتصادي واحد . ومن ثم فإن الوحدة الإقتصادية
 والتماسك الإقتصادي يصبحان خاصيتين مميزتين للأمة . وأخيراً ،
 فإن الأمة لا تتميز عن غيرها بظروف حياتها الاقتصادية فحسب ، بل

(١) ف. أ. لينين: في السياسة الخارجية للدولة السوفيتية، المرجع السابق، ص ٤-٥ .

(٢) سامط المصري : « أبحاث مختارة في القومية العربية » (بيروت : دار العلم

للملايين : ١٩٦٤) ص ٢٤٦ .

بعقليتها التي تتجلى في خصائصها الثقافية . وقد نشأت هذه النظرية في أوائل هذا القرن بروسيا، وسميت باسم (نظرية الماركسيين الروس) .
كذلك ، فقد كان ستالين يرفض وجهة النظر القائلة بضرورة قيام دولة قومية مستقلة كقوم رئيسى للأمة ، حيث ، يؤدى الأخذ بهذا الرأى إلى أن يقتصر تعريف الأمة على الشعوب التي تملك دولا خاصة بها ومستقلة عن غيرها . أما جميع الشعوب المغلوبة على أمرها والمحرومة من دواة مستقلة ، فستخرج - تأسيسا على هذا الرأى - من عداد الأمم ، وهو مالا يمكن التسليم به ^(١) . ولعل ذلك هو ما دفع ستالين إلى المطالبة بحق الأمم فى الاستقلال وفى العيش كدولة مستقلة ^(٢) .

ولهذا أيضا ، فإنه على الرغم من إرتباط شعوب الاتحاد السوفيتى بفكرة الاشتراكية ، فإنه لايد مع ذلك - فى رأى لينين ثم ستالين من بعده - أن يعمل حساب فى التنظيم السياسى للدولة لاختلاف الثقافات القومية لدى هذه الشعوب ولمصالحهم المحلية

(١) عبد الرحمن البراز : « بحوث فى القومية العربية » (القاهرة : معهد الدراسات العربية ، ١٩٦٢ / ٦١ .

(٢) ساطع : « ما هى القومية » (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٩)
ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

المشروعة في إطار المصلحة الموحدة لدولة الاتحاد ، كما سبق
القول .

ويرجع السبب في هذا التخلي المرحلي عن الاتجاه النظري
لفكرة الشيوعية الأهمية التي لا تؤمن بالقومية ، وبأن المال لأوطان
لهم ، وبأن الخلافات القومية صائرة إلى الزوال ، إلى أنه لم يكن
ميسورا أن يتحقق فجأة ودفعة واحدة إلغاء القوميات وإدماجها في
شعب واحد وطبقة واحدة . وحرصا على التسليم بالأمر الواقع ، فقد
حرص إعلان الشعوب السوفيتية الصادر في ١٦ فبراير ١٩١٧ وإعلان
حقوق الشعوب المستقلة والكادحة في يناير ١٩١٨ على أن يضيئا مبدأ
الحرية القومية وحق تقرير المصير إلى مبادئ الثورة . وكذلك فقد
حرص دستور ١٩٢٤ ثم دستور ١٩٣٦ على تعظيم الحكم في دولة
الاتحاد السوفيتي على أساس فيدرالي ، بما يحفظ للقوميات المختلفة
حزبا من خصائصها الذاتية وشخصيتها المتميزة داخل إطار القومية
الشيوعية العامة . كما حرص دستور ١٩٣٦ على أن يؤكد لجميع
القوميات والعناصر حقوقا مساوية ، بل وأن يكون التدريس في
المدارس السوفيتية باللغات القومية (مادة ١٢١) ، وأن المساواة

في كافة ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قانون لا ينقض (مادة ١٢٣) . واتفاقا مع هذه النصوص النظرية ، قرر الدستور السوفيتي حق القوميات المختلفة في الانفصال عن الاتحاد . كذلك فإن وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي وتطبيقاتها تؤكد على حقيقة احترام حقوق الإنسان وسيادة الشعوب وإقامة علاقات الصداقة بينها ، وبالتالي ترتبط بتوطيد دعائم السلام والأمن الدوليين على أساس المساواة لسكل المواطنين في كل مجالات الحياة بصرف النظر عن جنسيتهم أو جنسهم أو نوعهم أو ديانتهم^(١) .

وفضلا عن هذه المجالات النظرية والدستورية في دعم فكرة القومية ، فقد كانت الحرب العالمية الثانية من أهم العوامل المؤثرة في إذكاء روح القومية في شعوب الاتحاد السوفيتي أمام خطر الحرب وعنف المجرم النازي على الأراضي الروسية .

وكان من نتائج هذه العوامل مجتمعة ، أن أخذت سياسة الاتحاد السوفيتي تغادى بنفذ سياسة الحرب وبالتعايش السلمي بين

1. Tunkin, Grigory, "Contemporary International Law", (Moscow Progress Publishers, 1969), p. 234.

الشعوب . وهي إذ تفعل ذلك فلائنها أخذت تتحول إلى الإعتراف
بحق الشعوب الأخرى في الحياة ودفاعا عن فلسفتها التي نادى بها
منذ قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧ . ولأنها - زيادة على ذلك -
تدافع عن نفسها أمام الخطر الغوى الجديد المتمثل فى الصين وما تقادى
به من مياسة الحرب والدمار .

الفصل الخامس

السلطة السياسية والاجتماعية

في مجتمعات الأقلية

(المجتمعات الزنجية الأمريكية — نموذج)

المبحث الأول

تطور الأسس الأيديولوجية للعلاقات المتفاعلة بين الأقليات
والمجتمع الأمريكي

إن وضع الأقليات في أمريكا يختلف اختلافا كبيرا عنه في أوروبا .
ذلك أنه خلال فترة التغيير الاجتماعى السريع في أوروبا فيما بين الحربين
العالميتين الأولى والثانية ، تغير البنيان الاجتماعى لسلك من الجماعات
الخاضعة والمسيطرة بحصول كل منها على مصادر قوة جديدة مكنتها
من تغيير ميزان القوى . لذلك يمكن القول بأن أغلب الأقليات قد
تحولت بعد الحربين العالميتين إلى دول ، وأن مشكلة أقليات أوروبا

قد أصبحت مشكلة قومية^(١) ، وبالمثل ، يمكن اعتبار الدول التابعة
إلى أى الدائرة فى فلك دول أكبر منها) لئلا السوفيتى أقليات أو
مستعمرات حسب المدلول اللفظى للكلمتين .

أما التجربة الأمريكية حيال المستعمرين الأوربيين الذين نفذوا
إلى أو اخترقوا بالتدريج مناطق سكانية بدائية غير مأهولة ، فإنها
أكثر تشابهاً مع تجربتى أستراليا ونيوزيلانده . لقد كان القادمون
الجدد فى البداية أقليات فى حد ذاتهم ، ولكن نظراً لتفوقهم
التكنولوجى والعسكرى ، حولوا الاختراق الاقتصادى إلى غزو
واسع المدى أزاح السكان الأصليين بعد أن زاد عدد المهاجرين
الوافدين . كما تغيرت بالمثل طبيعة أوضاع الأقلية برمتها . وقد ميز
الاختلاف الكبير الأقليات الأوربية عن تلك الأمريكية بشكل
واضح . ففى أوروبا لم تستطع التغيرات المستمرة فى الحدود السياسية
أن تغير من الطبيعة السياسية لمشكلة الأقليات ، إذ ظلت أحد أنواع

Sydney, Collins, "Coloured Minorities in Britain : Studies in British
Race Relations, Based on Africa, West India and Asiatic Immigration"
(London, 1947).

السراعات القومية . لذلك انطبق على التجربة الأوروبية القول الفرنسي
المأثور : « كلما حدث تغيير ، عدنا إلى نفس الشيء »
“Plus la change, plus c'est la même chose”

أما في أمريكا ، فإن التطور التاريخي المتصل قد أدى إلى بزوغ
أوضاع جديدة وإختلافات عديدة تمثلت أولاها في طبيعة الهجرة .
فعندما تم أول تعداد سكاني أمريكي عام ١٧٩٠ ، كان ٩٠ ٪ من
السكان في ذلك الحين قادمين من شمال وغرب أدربا ، ومنهم ٩٤ ٪
من الجزر البريطانية . واستمرت عملية الهجرة في الأعوام من ١٨٠٠ -
١٨٨٢ حيث عرف ذلك العصر عموما بفترة « الهجرة القديمة »
ولقد كانت هذه المجموعة — إلى جانب تجانسها من وجهة النظر
الأوربية — تعتبر نفسها متجانسة التسكوين كذلك في أمريكا .
واستقرت على أساس أنها أغلبية متفوقة متميزة بالنظر إلى التنظيمات
والحضارة الأمريكية التي كانت قائمة حينذاك ^(١) .

ثم استطاعت الجماعة المسيطرة باسم (الجماعة البيضاء الأنجلو
سكسونية البروتستانتية) (White Anglo-Saxon protestants (WASPS)

1. Green, Arnold, “Sociology” (New York, 1956), p. 240.

أن تقوم بتحديد الآخرين الخارجين عن دائرتها . إذ قامت تلك الأغلبية أولا بتصنيف الجماعات الأخرى إلى ملونين وغير ملونين على أساس لونهم الأبيض ، وكان الزنوج هم المفضل الأكثر إنتشاراً والأسهل تمييزاً عن الجماعة المسيطرة (وإن وجدت في بعض المناطق الجغرافية المحدودة تجمعات عديدة كبيرة ملونة مثل الهنود واليابانيين والصينيين والمكسيكيين والبرتغاليين) . وأظهرت الأغلبية السائدة (WASPS) مقاما شديدا نحو الجماعة الزنجية ، وأقامت نظام الانفصال الاجتماعي Social Distance ، سواء في مجال العمل أو السكن وذلك لاقتصاصهم بعيداً عنهم .

ثم قامت مجموعة الـ (WASPS) - تطبيقا لسياسة التفرقة بين القاطنين والغريباء بتحديد فئة الأجانب - وإن تداخلت أحيانا مع فئة الملونين - إلا أنها في الغالب لم تمتزج بها طالما كان الشعب الأجنبي ينحدر من أصل أوروبي ولعل أقصى شعور بدائي عداوى تجاه الأجانب ظهر قبل الحرب العالمية الأولى وفي غضون ذلك ، عندما كانت فلسفة الامتصاص ذات التأثير الرئيسى على الجماعة المسيطرة في أمريكا . بل أنها طبقت في بعض جوانب السياسة الخارجية كذلك . فمثلا كان لودرو ويلسون الذى حث الدول الأوروبية على أهمية التعدد العرقي بما يتعارض مع

مبدأ التوافق uniformity - تصريحات تختلف تماماً عن تصريحاته داخل أمريكا . إذ أعلن في ذلك الوقت « ان أمريكا لا تتسكون من جماعات . والفرد الذى يظن نفسه منتمياً إلى جماعة وطنية معينة في أمريكا ، ليس بعد مواطناً أمريكياً^(١) » . وقد ساعدت هذه الفلسفة إلى حد كبير على نمو القيود على الهجرة إلى داخل أمريكا التي حدثت في العشرينات من هذا القرن ، وتبعاً لهذا الانجاء ، تم التأكيد على اللغة الإنجليزية كرمز للامتصاص ، وأصبحت اللغات الأخرى تشير إلى العنصرية الأجنبية .

كذلك استخدمت الجماعة المسيطرة (WASPS) الخصائص الدينية ، وقامت بتطبيقها في بعض الأحيان على غير البروتستانت ، وفي أحيان أخرى على غير المسيحيين . وقد ظهرت بداية الشعور العدائى للكاثوليك في الفترة من ١٨٣٠ — ١٨٤٠ عندما تمت تعبئة الشعور الوطنى ضد الكاثوليك . ومن ناحية أخرى ، إزداد العداء لليهود على أساس أنهم غير مسيحيين ، أو نتيجة للرصيد العرقى الموروث ضد الأجانب . وكانت هناك — أخيراً — بعض المفاهيم والدلالات الشمبية ، التي لم تسكن في الغالب منطقية ومتناقضة . فعلى

1. New York Times Magazine, May 16, 1948, p. 26.

سبيل المثال، تحدد المكسيكيون - شعبيا - على أنهم شعب ملون ، وإن كانوا حسب تعداد الولايات المتحدة قد اعتبروا ضمن البيض .

وقد يتبادر إلى ذهن الغريب عن أمريكا أنه إذا أضيف التمييز اللوني إلى التمييز ضد الأجانب، يصبح الأجانب الملونين هدفا لأقصى أنواع الضغوط ، ولكن المشكلة في الواقع ليست بهذه الصورة تماما: فالصينيون واليابانيون لم يـكـوـفـوا هدفا للقيود العديدة المتطرفة التي فرضت على التزوج الذين هم مواطنون أمريكيون بالمولد . أما بالنسبة للهنود ، فإن هناك عنصر لوني آخر لدى الناس ، وهو أن البعد عن جماعة ما يضفي سحراً على الرأي الذي يتم تكويبه عن هذه الجماعة . فالبيض الذين يعيشون بعيداً عن مفاطق الهنود المعزولة ، أكثر عرضة لتـكـوـيـن مفهوم شبه رومانتيكي عن الرجل الأحمر النبيل . أما البيض الذين يعيشون في ذات المناطق التي يعيش بها الهنود ، فإن أحكامهم التي يصدرونها على سلوك الهنود وعلى كل معاملاتهم اليومية ، تكون - بصفة عامة - في غاية الغلظة والقسوة .

وإذا أردنا تطبيق المفهوم القائم على أساس عامل العرق أو العنصر كأحد العلامات الأبرز وضوحا للعنصرية التي ميزت معاملة الشعب الأمريكي للأقليات ، فإن الأمر يبدو على النجوى التالي :

١ - الأصول غير القوقازية من غير المهاجرين :

(أ) المفجرين من العبيد أى الرفوج

(ب) المفجرين المحتقرين المعزولين أى الهنود

٢ - الأصول غير القوقازية من المهاجرين ولهم شكل قومى أو حضارى :

(أ) للجماعات القومية : كالبولنديين واليوغسلاف

(ب) الجماعات الثقافية : كاليهود

إن هناك ثلاثة نماذج أيديولوجية نظرية للوضع الأمريكى
تفاست فيما بينها لتقدم تفسيرات للطريقة التى استطاعت بها أمة كانت
فى البداية أمجوسكسونية بروتستانتية أن تتمصر - إلى حد بعيد -
واحداً وأربعين مليون مهاجر وأحفادهم ، من مصادر متنوعة وأن
تجعلهم يلتحمون داخل فسيح الشعب الأمريكى فى كل واحد .

وهذه الأيديولوجيات هى : التوافق مع الإنجليزية

Anglo-conformity ، وإنصهار المهاجرين على اختلاف أصولهم فى

بوتقة واحدة Melting-pot ، والتعدد الثقافى Cultural pluralism : (١)

1. Barron, Op. Cit., pp. 395-396.

١ - التوافق مع الإنجليزية :

وبقصد به الرغبة في الاحتفاظ بالمؤسسات الإنجليزية (بعد أن عدلتها الثورة الأمريكية) وباللغة الإنجليزية ، وبالنماذج الحضرية الإنجليزية الاتجاه - كعامل مسيطر نمطى في الحياة الأمريكية . وقد ارتبطت إنطباعات أو أفكار عامة غامضة غير قابلة للانفصال عن الجنس والتفوق العنصرى الآرى أو الجرمانى ببرامج السياسة القومية وسياسات تقييد الهجرة التى انسمت بتلك الانطباعات غير المؤكدة ، وذلك بتفضيل الهجرة من شمال أوروبا وغربها على أسس فجعة غير متبلورة . ومن هنا كان لابد من حدوث توازن ضرورى بين مبدأ التوافق وبين تلك الاتجاهات العنصرية .

ومنذ أن قدم الإنجليز إلى أمريكا لأول مرة ، أخذوا قصب السبق كرواد للحضارة . فأصبحت اللغة الإنجليزية هى اللغة السائدة ، وأصبح القانون الإنجليزى العام أساساً للقوانين المدنية الرسمية ، واحتوى الدستور الأمريكى على مبادئ الفلاسفة الإنجليز أمثال لوك وبيرك ، فضلاً عن أن الغالبية العظمى من هذه المجموعة الأولى كانوا من البروتستانت الذين طعموا الثقافة الأمريكية بالسمة

ألبروستمانقية الخاصة^(١) وأصبح يشار إلى هذه المجموعة المسيطرة بالبيض البروتستانت الأنجلوسكسون أي الـ WASPS كما سبق القول.

إلا أنه مع ظهور الصناعة ، تغير تيار الهجرة في الفترتين من ١٨٨٢ إلى ١٩٢٠ عندما وفد القادمون الجدد من أوروبا أيضاً لأول مرة وبأعداد ضخمة ، ولكن من شرق وجنوب أوروبا هذه المرة . وهو ما عرف باسم « الهجرة الجديدة » . ونظراً لاختلاف هؤلاء المهاجرين الجدد ثقافياً ودينياً ، كانت المجموعة المسيطرة تفضل إليهم خلافاً ، وتعين وضعهم في مراكز أقلية خاضعة للقيود .

وقد أدى وصول المستوطنين إلى مناطق الحدود في غرب أمريكا في ذلك الوقت إلى حدوث تغيرين جوهريين في شكل السلطة : ذلك أن التسرب المنتظم إلى المنطقة الهندية والذي تميز بمحالات صراع متقطع ، قد أدى إلى إزالة إجبارية للسكان الهنود نحو مناطق معزولة تحت الرقابة ، وإنتهى الأمر إلى عزل الهنود في مناطق منفصلة حيث تم إقصاؤهم بعيداً عن الجوانب الأساسية للحياة الأمريكية . أما في

1. Schernerhorn, R.A. "These Our people, Minorities in American Culture" (Boston, 1940), p. 6.

الولايات الجنوبية ، فقد صار نظام العبيد السمة المميزة لعلاقات السلطة والقوة بها ، نتيجة إسقيراد العبيد من أفريقيا للعمل الرخيص في مزارع التبغ والأرز والتطن بصفة أخص .

وعلى ذلك يمكن تتبع النموذج الجمعى للأقليات الأمريكية لا فى العلاقات الجديدة بين الجماعات المسيطرة والجماعات الخاضعة بالنسبة للتغيرات التاريخية التى يمكن تتبعها زمنيا فحسب ، ولكن أيضاً فى الاتجاهات التى أدت إلى تفضيل مفضلة على أخرى فى ضوء الاعتبار الجغرافية .

ولقد أصبح واضحاً فى الوقت الحاضر أن الأقليات الأمريكية - على العكس من الأقليات الأوروبية فى نفس الفترة - لم تتمتع ظهور الشكل القومى ، وأنه يمكن تحليلها على أساس تحليل السلطة وأساليب قوى الضغط . كذلك يمد التوافق مع الإنجليزية أكثر أنواع الأيديولوجيات إتباعاً لسياسة الامتصاص فى أمريكا خلال تاريخها القومى^(١) .

ولأن الخلافات السياسية مع انجلترا قد كتبت بالدم ، وأحدث

1. Handlin, Oscar (ed.), "Immigration as a factor in American History" (Englewood, Prentice-Hall, 1959), p. 146.

الانقصار الجديد بالحصول على الجمهورية والديمقراطية قلما من أن يؤدي التدفق الكبير للشعوب الأوروبية التي اعتادت على قيود الملكية المستبدة ، إلى التهديد بالقضاء على تلك الثمار التي كانت لاتزال غير ثابتة محفونة بالمخاطر - لهذا السبب فإنه على الرغم من الاقتناع العميق بالولايات المتحدة الجديدة كملاذ لأولئك المضطهدين والمستعبدين ، نجد تحفظات لها وزنها فيما يتعلق بفتائج تلك السياسة التي بدت شديدة الحرية .

ولقد وصل مبدأ التوافق مع الإنجليزية إلى أقصى تعبير له فيما يطلق عليه بحركة الأمركة التي سيطرت على البلاد خلال فترة الحرب العالمية الأولى . وكانت حركة رائدة لتجربة المهاجرين أنستهم ثقافتهم وارتباطهم بأوطانهم ، وجملتهم أمريكيين إلى أقصى حد ممكن وذوى خصائص أنجلوسكسونية بحتة .

٢ - بوثقة لإنصهار المهاجرين :

إذا كان مبدأ التوافق مع الإنجليزية في مختلف مظاهره هو أكثر الأيديولوجيات السائدة تطبيقاً لمبدأ الامتصاص في التجربة التاريخية لأمر يكاد ، فإن هناك وجهة نظر أخرى كانت أكثر سخاء ومثالية ،

وكان لها أنصارها ومفسروها منذ القرن الثامن عشر وما تلاه . فلقد حتمت الظروف في القارة العذراء تعديل المؤسسات التي جلبها المستعمرون الإنجليز معهم من دولتهم الأم . لذلك كان من الضروري إعادة النظر في المجتمع الأمريكي الفاشيء الذي تسكون من مزيج جديد ثقافيا وبيولوجيا حيث اختلطت طرق التفكير والشعور والسلوك واللغة الأوربية - بلا تمييز - في بوتقة - سياسية بين الأمم الفاشئة منصهرة بفعل فيران التأوير والتفاعل الأمريكيين لتسكون شكلا جديدا تماما .

إن سياسة الباب المفتوح للهجرة في الثلاثة أرباع الأولى من القرن التاسع عشر كانت تعكس لدى بعض المفسرين عقيدة ثابتة بشأن فاعلية بوتقة الإنصهار الأمريكية ، وكانت تعكس الاعتقاد « بأن الجميع يمكن امتصاصهم ، وأن الجميع يمكن أن يشتركوا في شخصية وطنية وليدة^(١) » .

وعند منتصف القرن الماضي انضمت فكرة البوتقة إلى بقية مبادئ العصر لتسكون إحدى نتائج الهجرة . وكرد فعل فوري لها ،

1. Barron, Op. Cit., p. 40.

ظهر التحدى فى صورة الفلسفة الجديدة الخاصة بالتكليف مع الجماعة التى يعيش الفرد بداخلها لتفانى فلسفة أنصهار مفهومى التوافق مع الإنجليزىة وبوتقة الانصهار ، ومع ذلك استمرت فلسفة بوتقة الانصهار فى جذب جزء من الاهتمام بطريقة واعية فحو هذا الجانب من الوجه الأمريكى حتى النصف الأول من القرن العشرين .

٣ — التعدد الثقافى :

استقر جميع المهاجرين غير الإنجليز الذين وصلوا إلى الشواطىء الأمريكية بأعداد غفيرة خلال عهد الاستعمار الإنجليزى إما فى قفار بعيدة أو فى برارى موحشة ، أو فى بعض القطاعات المضربة التى يصعب الوصول إليها ، مكونين مقاطعات عنصرية ، ويسعون للحفاظ على بعض صفاتهم الثقافية الوطنية بقدر الإمكان . وقد ساعد على ذلك التزايد المتلاحق فى عدد الأقارب والأصدقاء وأبناء جلدتهم الذين افتقدوا الروح العائلية فى أرض غريبة ، ورغبة المستوطنين فى إعادة بناء مجتمعهم فيه الاتصال فيما بينهم بلغة مشتركة والاحتفاظ بمؤسسات مألوفة لهم ، وأيضاً نتيجة الحاجة إلى ارتباط بعضهم البعض فى أنواع المساعدة والحماية المتبادلة حتى يعقلبوا على شكوكهم حيال

المحيط الخارجى الغريب والعدائى فى أغلب الأحوال . ويفطبق هذا على المهاجرين « القدماء » و « الجدد » على حد سواء .
وأصبحت أيديولوجية « التعدد الثقافى » هى الفلسفة الأمريكية السائدة فى القرن العشرين وبخاصة منذ الحرب العالمية الثانية . وظهر تعبير (أمة الأمم) نيمشى طريقا بين مفاهيم المتخصصين فى دراسة العلاقات المتفاعلة داخل الجماعات الإثنية والطائفية . وأصبح بعض الكتاب حاليا يفضلون الحديث عن التـ . كامل بين المهاجرين ، بدلا من الحديث عن « إمتصاصهم »^(١) . وإن كانت هناك استثناءات قليلة — من جانب علماء الاجتماع أو المتخصصين فى العلاقات المتبادلة بين الجماعات — لم نعط إعتماما تحليليا كافيا لمعنى التـ لمدى حيث طبيعته وعلاقته بالمجتمع القائم على التصنيع الحديث وتطبيقاته على مشاكل التعامل والتفرقة .

-
1. Glazer, Nathan and Moynihan, Daniel Patrick, "Beyond the Relations", Paris, UNESCO, 1959; Glazer, Nathan, "Ethnic Groups in America, From National Culture to Ideology". Both articles in Berger, Morroe; Abel, Theodore and page, Charles H. (eds), "Freedom and Control in Modern Society" (New York : D. Van Nostrand, 1954), Eienstadt, N., "The Absorption of Immigrants" (London : Routledge & Kegan-Paul, 1954) ; Borrie, W.B. et al., "The Cultural Integration of Immigrants A survey based on the papers and proceedings of the UNESCO Conference in Havana (April, 1956).

وطبقا لهذا المفهوم ، يصبح وضع الجماعة الإثنية المميزة كالآتي :
يتطور محل التنظيمات والعلاقات الاجتماعية غير الرسمية داخل الجماعة
الإثنية بما يسمح ويشجع أعضائها على البقاء بعيداً عن حدود الجماعة
الإثنية محققين دانيتهم بما لا يمكن تحقيقه بعيداً عن حدود جماعةهم
الإثنية الأصلية .

وتصبح الصورة أكثر تعقيدا ، نتيجة الانقسامات الطبقية
الاجتماعية التي تتداخل مع خطوط الجماعة الإثنية ، كما حدث بالنسبة
للشعب البروتستانتي الأبيض في أمريكا . ومع تطور كل جماعة إثنية
إلى أجيال متتابعة ثانية وثالثة ، ظهرت مجموعات متعلمة تعليميا جامعا
متمسكة بقيام متوسطة عاليا (وأحيانا طبقة عاليا) .

وتعمل مثل هذه التقسيمات الطبقية إلى تقييد علاقات الجماعة
الأصلية بدرجة أكبر ، لأنه على الرغم من شعور عضو الجماعة
الإثنية شعورا عاما مع بقية حاملي ميراثه الإثني بشخصيته المنفردة ،
فإنه لا يشعر بالراحة في العلاقات الوثيقة إلا فقط مع أولئك الذين
يشاركون معه في الخلفية الطبقية التي ينتمي إليها .

ويمكن القول — بإيجاز — أنه بينما يأخذ الامتصاص السلوكي

Cultural Acculturation أو التبادل الثقافي Behavioral Assimilation
(بمعنى امتصاص نماذج السلوك الحضارى للمجتمع المضيف ، وحدث
نوع من التعديل فى النماذج الحضارية لدولة المهاجر القادم فى أغلب
الأحيان) مكانه فى أمريكا بدرجة كبيرة ، فإن الامتصاص البنائى
Structural Assimilation (بمعنى انغماس أحماد المهاجرين إلى أحزاب
المجتمع وتنظيماته وأنشطته الأساسية وحياته المدنية العاملة ، وبالتالى
ممارسة الزواج المختلط وتحمل المسئوليات السياسية والالتحام
بالأنشطة التى تولد نماذج الصداقات الشخصية والزيارات العائلية المتبادلة
وشمائر العبادة من جانب آخر) ، لم يكن هذا النوع من الامتصاص
منتشرا أو ذائع الشيوخ ، وإن وجدت بعض الاستثناءات ذات
الأهمية ، وهى استثناءات ^(١) من نوعين :

١ — الاستثناء الذى يقوم على « بوتقة الانصهار الثلاثية » ،
حيث تميل 'حناس' الجماعات الإثنية إلى الاندماج داخل جميع
الجماعات الدينية الرئيسية الثلاث . ويصدق هذا بصفة خاصة على
المجتمعات اليهودية والبروتستانتية ، ذلك أن أحماد المهاجرين القدماء

1. Rosenthal. "Acculturation without Assimilation", American
Journal of Sociology, 1960, pp. 275-288.

في القرن التاسع عشر الذين كانوا من البروتستانت (وكثير منهم
ألمان وجميعهم اسكتلنديون) قد اندمجوا في الجزم الأكبر منهم
بالتدريج داخل « المجتمع الجزئي » البروتستانتي الأبيض . أما اليهود
من أصول سامية وألمانية وأوربية شرقية ، فكانوا يميلون أيضاً
إلى التجمع معاً في ممارسة نشاطهم الطائفي . وإذا كانت قد بدأت عملية
امتصاص لقوميات السكان أوليسكية المتعددة من قبل الإيطاليين
الأيرلنديون ، فإنه لا تزال هناك الجماعات العنصرية وشبه العنصرية
مثل الزنوج ، والهفود الأمريكيين ، والمكسيكيين ، والبورغوركيين ،
محمطة بتسكويها الفضي المنفصل إلى حد كبير .

وكانت نتيجة ذلك في الحياة الأمريكية المعاصرة وجود التعدد ،
وإن كان أكثر من « ثلاثي » . وقد يكون أكثر دقة لو وصف بأنه
تعدد « بنياني » بأكثر منه تعدد ثقافي ، ولأن كان هذا النوع
الأخير من التعدد لا يزال باقياً .

٢ — الاستثناء الثاني — خاص بالهياكل أو الأبنية الاجتماعية
التي تشمل أهل الفكر . فهناك عالم اجتماعي جزئي مكون من اثنين
في أمريكا ، يتسكون من مزيج متفاعل واقعي بين الأفراد من مختلف
الخلفيات الإثنية بما في ذلك الدينية .

وننتقل الآن إلى دراسة الأساليب الإثنية الخاصة بالسلوك
السياسي الأمريكي :

يمكن تتبع ثلاث إستجابات رئيسية لدى الجماعات الإثنية
الأمريكية هي : التكيف أو الملاءمة Accomodation ، والإنزوال
أو الانفصال Separation ، والتطرف أو الراديكالية Radicalism .
ويمثل كل نموذج من هذه النماذج محاولة حماية قيم معينة في ظروف
بيئانية وحضارية معينة مع نتائج سياسة معينة .

إن العضوية في المجتمعات الدينية أو العرقية أو القومية - وهي
المسماة بالمجتمعات الإثنية - تتحدد بسميزات واضحة قد تشمل أيضاً
نظم الزواج التي تنجبه في جهود كبير ضد الاعتراف بالزواج من خارج
جماعة إثنية معينة ، كما تشمل القيم الحضارية التي يعبر عنها السلوك
الفردى والجماعى ، والأفكار العامة المشتركة بشأن العلاقات القائمة
بين الجماعة الأثنية والمجتمع الأكبر المحيط بها على أسس نفسية .
ومع غياب إستقرار مفاهيم عرقية ودينية خاصة بأساليب السلوك
السياسى ، فإن معظم الارتباطات السياسية الأثنية تتبع الكوئين
الاجتماعى للجماعة الإثنية .

ويتأثر كل نموذج من النماذج الثلاثة السابق ذكرها بالإطار الثقافي للجماعة الإثنية ، وبقدرة المؤسسات السياسية على التعبير عن المطالب الإثنية بشأن نظام الحكم . وهذا ترغب جماعة إثنية رغبة ملحة في تعديل نفسها بحيث تفوز بأوضاع سياسة معينة ، ولسكنها قد تواجه بالمعارضة أو بالرفض . كما قد يوجد لدى جماعة إثنية أخرى تقاليد ثقافية قوية تتجه بها نحو دوام عزلتها ، ولسكنها في نفس الوقت قد تتقدم مؤسسات يمكن من خلالها خلق تقارب بين هذه الجماعة ونظام الحكم القائم .

وفي أمريكا ، كان لدى معظم الجماعات الإثنية الرغبة في تسكين نفسها مع الحياة السياسية الأمريكية والقدرة على ذلك . ذلك أن أسلوب التعدد الذي ميز النظام السيامي الأمريكي قد تعدل بحيث كان يأخذ في اعتباره مراعاة مطالب الأقليات . وعلى الرغم من ذلك فقد وقعت حوادث انفصالية أو متطرفة أدت إلى فرض قيود شديدة على النظام ، وبخاصة وأنها ابتكرت أساساً لتتمشى مع الأساليب الآخذة في التزايد والتي تقوم على الحلول الوسط ومحاولات التآلف . فقد جذبت الأساليب الانفصالية والراديكالية الانقباه

نحو وضوح العاطفية والمذهبية في الحياة السياسية الأمريكية^(١).

وقد صاحب الاتجاه نحو تعزيز دور الجماعات الإثنية في الحياة المدنية الأمريكية تطورات حديثة في الحياة السياسية ، قامت بدورها بتقوية الخصائص الإثنية. وهذا الموضوع وإن كان معقدا ، إلا أنه يمكن الإشارة بشأنه إلى بعض العناصر :

١ — أن هناك أنماجا ما (يدعمه تطور الروابط الطبقية والإثنية الأصلية) لإحلال الروابط الإثنية في الأساليب السياسية محل الروابط الطبقية .

٢ — أن هناك هبوطا في نشاط الأساليب السياسية وقدرتها على الخلق والإبداع في مدينة نيويورك ، مما يبدو معه أن رجال السياسة بهذه المنطقة يفضلون القيام بنشاطهم في ضوء وقائع بوتقة الانصهار المفترض وجودها عن أن يفاضلوا ليتغلبوا على هذا الواقع المثير للارتباك إلى حد كبير .

٣ — أن تطور التصويت لدى الرأي العام يبدو وكأنه يتقوى إلى

1. Litt, Edgar, "Beyond Pluralism-Ethnic Politics in America" (USA : Scott, Foresman, 1976), p. 40.

حد كبير الاتجاه العقلية لدى الأحزاب السياسية في العاصمة اشغل دور الوسيط الأساسي بين البدائل المختلفة . وهو ما يشكل - بطريق غير مباشر - أثراً هاماً في تقوية العنصر الإثني أثناء الحملات الانتخابية ونتيجة لاستخدام الأحزاب والتكتلات ذات أساليب الترشيح على طريقة البدائل ، فإنها تحصل أيضاً على نفس المعلومات بشأن ما يفضلها الفاعل وما لا يقبل عليه بطريقة البدائل أيضاً . ومن هنا تميل الأحزاب إلى إتباع مواقف متشابهة في مواجهة المسائل السياسية .

ويبدو أن هذا التشابه قد زاد من أهمية الفوارق الإثنية ، وأنه سيمثل مخاطر فوارق مظهرية حتى وإن كانت قابلة أو لا وجود لها في واقع الأمر . ومن ثم فإن أشكال الفساح السياسي في تلك المدينة قد أدت إلى تقوية وتنشيط وظائف الجماعات الإثنية^(١) . ولم تعد الجماعات الإثنية مجرد عامل مؤثر على الأحداث ، بل صارت - بصفة عامة - مصدراً لتلك الأحداث . فانؤسسات السياسية والاجتماعية لا تستجيب للمصالح الإثنية وحدها ، بل إن قدرأ هائلاً من هذه المؤسسات موجود لغرض معين ، هو خدمة المصالح الإثنية التي تتجه -

Glazer, Nathan and Moynihan, Daniel Patrick, "Beyond the Melting-Pot" (Massachusetts : The M.I.T. Press, 1966), pp. 301-302.

في المقابل - إلى تأييد هذه المؤسسات على الدوام . وبعد مناخ مذبقة
نيويورك - بأشكال شتى - مناخا ملائما لوجود الجماعات الإثنية لأنه
يعترف بها ، ويحزل العطا . لها ، بل ويشجع وجودها .

ويحتوى تاريخ الحريات المدنية بالولايات المتحدة - بوجه
عام - على أنواع عديدة من دفاع الأقليات عن الحقوق الديمقراطية
الأساسية في مواجهة آراء الأغلبية التي قد تنسكرك هذه الحقوق أو قد
تعارضها . ولقد كان الإضطهاد أمراً شائناً تعانیه جماعات الأقليات
إبان الأزمات القومية في الحياة الأمريكية ، حتى أنه أصبح مبرراً لأي
إدعاء يرى أن السياسة العامة لا بد أن يقررها رأى عام جماعى بشكل
مسبق . وأصبحت الحملات وأنواع التفرقة المضطردة في أزمئة ومناطق
معينة على مستوى الحكومة الفيدرالية وعلى مستوى الولايات ضد
الجماعات العنصرية والدينية والعمالية ، تشكل نهجاً للحقوق
الانتخابية والمدنية التي لا غنى عنها للديمقراطية في حد ذاتها . لذلك
فإنه في كل الإجراءات المضادة للديمقراطية ، كرست الأقليات نفسها
لتحقيق الحريات المدنية وعملت على استرداد حقها في الممارسة
الديمقراطية الحقيقية^(١) .

1. Stouffer, Samuel, Communism, Conformity and Civil Liberties (New York : Doubleday Co., 1955), Chap. 2; "Are Leaders More Tolerant Than Other People ?", pp. 26.

المبحث الثانى

التفاعل بين الأوضاع الاجتماعية ثلاثيات والحياة السياسية
المجتمع :

تتوزع السلطة داخل أى مجتمع وداخل كل جماعة مكونة لهذا المجتمع بين أفراد هذا المجتمع وتلك الجماعة بصورة غير متساوية ، بالنظر إلى مستويات السلطة ، ومقدار النفوذ الاجتماعى ، وباختلاف الزمان والمكان ، وأيضاً باختلاف الأساليب التى تمكن من الحصول على مكانه سامية فى المجتمع والاحتفاظ بها أو فقدانها . ويجمع علماء النفس والأنثروبولوجيا على وجود الفوارق الاجتماعية استفاداً إلى التوزيع غير المتكافئ للملكية والسلطان والجاه فى كل مجتمع وداخل كل جماعة تكون هذا المجتمع ، وذلك فيما عدا التجمعات البشرية المؤقتة أو البدائية . وعلى الرغم من هذا الإنفاق ، تظل هناك مسألة تغير الجدل حول إمكانية وجود نمط اجتماعى محدد أم أنه لا بد من جود تسلسل مستويات مختلفة بين الأفراد . وفى محاولة لربط مفهوم

النفوارق الإجتماعية Social Stratification بملاقات الأكثرية مع
الأقلية ، يمكن دراسة كل من :

الطائفة caste ، والطبقة الإجتماعية social class ، وذلك على
أساس أن النظام الطبقي في المجتمع ذو أهمية حيوية فيما يخص بالعلاقة
بين الأكثرية والأقلية ، وفيما يتعلق بموامل العرق والدين والاخلاق ،
وهي كلها عوامل تؤثر في الأغلب الأعم على مركز الفرد ووضعه
القائم ، وما يمكن أن يسمح به هذا الوضع من إمكانية الحركة التي
تؤثر كثيراً على بقاء جماعات الاقلية أو فنائها .

١ — للطائفية : إنقسم علماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا
الأمريكيون بشأن تطبيق لفظ « طائفة » على الأوضاع بالولايات
المتحدة . فقد أعتبر فريق وارنر Warner Group من الباحثين أن هذا
السكان الزنوج والبيض يكونون معا طائفتين على أساس أن هذا
العسكوين هو تنظيم نظري لأفراد جماعات معينة تتوزع فيه المزايا
والواجبات والالتزامات والمنافع . . إلخ بين الجماعات التي أعتبرت

أعلى مقاما أو أحط شأنًا . وهناك جزاءات اجتماعية تنبئه إلى المحافظة على هذا التوزيع غير العادل^(١) .

ويعيب هذا التعريف أنه يطبق أيضا على الطبقة ، وإن كان تنظيم الطائفة يمكن تحديده بشكل أدق حين يكون التزاوج بين جماعتين ، أرا محرما ، أو حيث لا توجد لدى أفراد الجماعة الأدنى فرصة للارتقاء إلى الجماعة الأعلى ، أو الفرصة لدى الجماعات الأعلى للانحدار إلى الجماعة الأدنى .

إلا أن وجهة النظر هذه قد تعدلت إلى حد ما في دراسة عن تكوين الأصل والشخصية (مجتمع الزنوج بشيكاغو) ، إذ يقرر أصحاب الرأي الجديد أنه « من الواجب أن يوصف الوضع بأنه نظام شبه طائفي على أقل تقدير^(٢) » . وبأخذ وارنر بهذا التعديل في تعليقاته عن (زنوج العاصمة) بقوله : « إن هذا الدليل يدعمه بقوة الافتراض القائل بأنه بينما يوجد اختلاف ملحوظ بين أعماق الجنوب

-
1. Warner, W. Lloyd, "American Caste and Class". AJS, Sept. 1936, p. 234.
 2. Warner, W. Lloyd; Junker, B.H. and Adams, W.A., "Color and Human Nature", American Council On Education, 1941, p. 21

والتجمع الحضري (العاصمي) ، فإن هناك تحسفا هائلا في وضع الزوج وتأكيده متزايدا على أن الزوجي يواصل تقدمه بصرف النظر عما إذا كان شكل العلاقات القائمة التي تحكم الزوج والبيض سبقي كما هي ، أي بحيث تستمر في حفظ الزوجي في وضع مقيد أدنى مرتبة . فالزوجي لا يستطيع أن يتسأل إلى جماعة أعلى ، على الرغم من استطاعته الترقى إلى أعلى داخل جماعته الخاصة . وقد يسمح له من الفلاحية القانونية بالزواج عبر حاجز اللون ، وإن كان هذا أمرا قليل الحدوث --- وعادة ما يكون الأطفال الفاحين عن مثل هذا الزواج سودا ، وبعانون — كما عانى آباؤهم — من « القيود » وأنواع الحرمان التي تتعرض لها طائفة الزوج ، وتتوزع الجزاءات والعقوبات والعقوبات والواجبات ومصادر المعرفة والزايا بصورة غير عادلة^(١) . وبالتالي يوجد نظام موجود بالفعل يقوم بتنظيم حياة الناس والتحكم فيهم ، « ويعلم » الأجيال القادمة أساليبه وبكيفية وفقا لماهيمه .

ولقد تبني ميردال Myrdal G. مفهوم الطائفة في مؤلفه (المعضلة الأمريكية) . وتتميز الطائفة عفا عن الطبقية بأنها « تلك القيود

1. Warner, W. Lloyd, "A Methodological Note", in Drake, St. Clair and Cayton, Horace, "Black Metropolis" (Harcourt, Brace & World, 1945), pp. 781-782.

العنفية القاسية على المنافسة الحرة في مختلف مجالات الحياة ، حتى أن عضو الجماعة الدنيا لا يستطيع بأية وسيلة أن يغير من وضعه فيما عدا بالطريق السرى غير القانونى والذي يتاح فقط لعدد قليل يملك مكانة ملحوظة لدى أفراد الطائفة الأعلى^(١) .

ويتحدد النظام الطائفى - فى رأى ميردال - على أنه « تدرج هرمى لـتقسيمات القائمة على التزاوج الداخلى ، وتسكون العضوية فيه مقوارثة ودائمة » . ويشمل هذا التدرج الهرمى عدم المساواة سواء فى الوضع الاجتماعى أو فى الحصول على السام والخدمات . ويرى بيرمان Berreman, G. أن هذا النظام القائم بحفوب الولايات المتحدة يتجه إلى أقصى التعارف الطائفى . وفى رأيه أن هذا التقسيم الشائع الذى يحمل الطائفة فى الهند مقبولة قبولاً إيجابياً ، بينما تتميز العلاقات بالولايات المتحدة بالصراع والشعور والذنب ، إنما هو تقسيم باطل . فإن هذا التناقض يرجع إلى الفكرة المثالية عن الطوائف الهندية مقارنة بالنظرة الواقعية للعلاقات العنصرية الأمريكية . ويذكر بيرمان -

1. Myrdal, Gunnar, "An American Dilemma" (Harper and Row, 1944), pp. 674-675.

فى هذا الصدد - أنه « فى كل من النظامين ، هناك قواعد سمارمة
للتجذب بين الطوائف ، وأن أشكالاً معينة من العلاقات تتحدد على
أنها نجسة أو غير طاهرة وأشكال أخرى بأنها غير مدنسة . ولكن
تختلف المبررات الأيدولوجية لهذه المبادئ الجامدة فى كل من النوعين
باختلاف التفسيرات الخاصة بالتصرفات الواقعية ذاتها . فالعلاقات
الخاصة باليهوديين علاقات رمزية أكثر من كونها ضارة أو مؤذية
بالعنى الحرفى ، كما تبدو كثير من المتناقضات عند تطبيق مثل هذه
القواعد ، ولكن يتفق النظامان فى خصيصة رئيسية تبدو فى حقيقة أن
وظيفة الأحكام والسلطة فى كلتا الحالتين هى حفظ النظام الطائفى فى
حالة عدم مساواة أساسية . وإذا كان الماون بالولايات المتحدة بعد
العلامة المميزة للطائفة ، فإنه توجد خصائص دينية معقدة بالهند غير
موجودة فى أمريكا . ولكن تعتبر مجالات المناطق السكانية والوظيفية
وأماكن العبادة والملوك الحضارى الخ .. فى الحالتين علامات هامة
ترتبط بوضع الطائفة . وهناك حقيقة أولية هى أن وضع الطائفة إنما
هو وضع ثابت مستقر لأن الميلاد يحدد العضوية فى الطوائف بالتوارث
غير القابل للتغيير ، ولذلك يسكون أفراد الطوائف الدنيا منقطعين

ومنظمين في مركز عديم المزايا بالوراثة ودون مراعاة لسلوكهم
الفعلي^(١) .

ومن ناحية أخرى يرى برمان أن هناك اختلافا هاما بين
الغظم القائمة بالهدف عنها في الولايات المتحدة . إذ يبدو أن إلغاء
النظام الطائفي أمر مستحيل (وغير مطلوب) من جانب كل الطوائف
بالهدف ، وأن التغير الوحيد الملائم أو العملي لجماعة طائفة ما يتم في
تغيير درجاتها أو رتبها فقط ، إذ أن الإلغاء قد يؤدي إلى إستبعاد
بعض المزايا المتوافرة في عضوية طائفة ما وإجبار أفرادها على الإرتباط
للمساوي بأفراد طائفة أدنى مقاما . أما في جنوب الولايات المتحدة ،
فإن إلغاء النظام الطائفي يبدو العلاج العملي الوحيد لحالة الحرمان
الحاضرة^(٢) .

وحتى يمكن معرفة المزيد عن أوجه التشابه والخلاف بين النظام
الطائفي والعلاقات العنصرية بالولايات المتحدة ، فإنه من غير
المستحسن استعمال كلمة « طائفة » بالنسبة للولايات المتحدة ، نظرا

1. Berreman, Gerald D., "Caste in India and the United States",
AJS, Sept., 1960, p. 122.

2. Berreman, Ibid., p. 125.

لوجود اختلافات هامة بين النظامين ، فإنه على الرغم من أن بعض
الكفائس تؤيد انفصال الأجناس ، إلا أنه لا توجد مبادئ دينية
تقوم بتبرير نظام ثابت مستقر للفوارق الاجتماعية يجعله مقبولا على
كافة المستويات بالإضافة إلى أنه على الرغم من التناقض بين المبادئ
التي تتمثل في المبادئ الأخلاقية الأساسية بالولايات المتحدة - وهي
إحترام الإنسان ، وتقديس الشخصية الفردية ، وتكافؤ الفرص أمام
الجميع ، والحماية القانونية المتساوية ، وحق الجميع في الخصوصية -
وبين الواقع ، كما يذكر ميردال في مؤلفه السابق الإشارة إليه ، فإن
إمكانية التحرك الاجتماعي والإقتصادي - كمنع إلى حد كبير بين
الزواج . وكما يذكر بينيت وتومين Bennett and Tumin ، يوجد
تنافس بين العمال والزواج والعمال البيض في المناطق الصناعية في
أغلب الأحيان على نفس المهن . وبينما يحظر القانون الزواج بين
البيض والزواج في ثلاث وعشرين ولاية ، فإنه مباح وقانوني في
الولايات الأخرى . كما يعد الأكل في أماكن مشتركة وغیره من
أنواع الأنشطة « الاجتماعية » الأخرى أمرا مألوفيا باستثناء الجنوب
وبخاصة المجتمعات الحضرية به .

ولقد قدم تشارلس جونسون Johnson, Charles حجة مقنعة^(١) في اعتراضه على استخدام كلمة « طائفة » بالنسبة للجنوب وذلك لاستناد الجنوبيين إلى الإيمان بالجزائات التقليدية لحفظ الوضع القائم ، بينما لا تعد القيود القانونية أمر ضروريا في النظام الطائفي ، وإما المهم هو القدر الكبير من الحيوية الذي يحفظ هذا النظام . ويتضح عدم الاستقرار في النظام المنصري بالجنوب في الصراع الشامل الذي يدفع البيض المسيطرين للوقوف في وجه نضال الزواج من أجل تغيير أوضاعهم التابعة .

وأيا كان الأمر ، فمن المهم عند مناقشة مسألة وجود الطوائف بالولايات المتحدة أو عدم وجودها ، أن يكون معلوما أن الطائفة والطبقة ليستا أموراً واقعية ملموسة ، وإما هي مجرد أفكار أو مفاهيم وأن العلاقات بين الجماعات ذات الميزة العليا في مختلف الولايات والأقاليم تتأجج في سلسلة متصلة ما بين المرونة العالية والجمود الشديد . وإذا كان بالنظام الطبقي في الولايات المتحدة قدر من الجمود ، وسمت الزواج الداخلي بين أفراد الطبقة ، وبعض تقبول للنظام القائم من جانب أفراد المجتمع ، إلا أنه يلاحظ في الوقت ذاته أنه يفتقد إلى

1. Johnson, Charles S., "Growing Up in the Black Belt", ACE, 1941, pp. 355-357.

أساس من المبادئ الدينية التي تبرر مثل هذا النظام الطبقي المتزمت ، بمعنى أن الحدود التي تفصل بين الطبقات الاجتماعية تكون في الغالب غامضة متناقضة . ويرفض معظم الزنوج وكثير من البيض فكرة (الوضع الراهن) كما أن كثيراً من التنظيمات والهياكل تعارضها . وعلى حد قول بنيت وتومين : « يحتوى النظام الأمريكى فى الوقت الحاضر — رغم أسبقية سيادة النظام الطبقي وقدم العهد بها — على بعض ملامح نظام الطاقة^(١) » .

نظام الطبقة الاجتماعية :

مع تزايد العنصر الحديث وسهولة المواصلات ، تبدأ بعض أنماط الاختلافات الاجتماعية — التي كانت غير واضحة أو مستترة والفاشئة عن الاختلافات العرقية — فى الظهور بشكل أكثر وضوحاً ، وتبدأ فى أن تمهد لنفسها ملامح مميزة ، تتمثل فى الطبقات الاجتماعية التي تتكون نتيجة الحرفة ، والدخل ، والنفوذ . ويطلق على هذه الفئات المختلفة لفظة « طبقات » لأنها تشكل مراتب أو أوضاعاً اجتماعية بشكل رأسى مكونة تسلسلاً فى الوظائف والمراكز من الأقل فالأعلى .

1. Bennett and Tumin, Op. Cit., p. 274.

وعلى الرغم من أن نظام الطبقة الاجتماعية ظل - لفترة طويلة - هدفا للأبحاث في أوروبا ، إلا أن علماء الاجتماع الأمريكيين قد أهملوه حتى وقت قريباً نسبياً . ولعل هذا الإهمال يبدو أمراً عادياً في بلد توافرت فيه المساحات الشاسعة من الأراضى والمواد الطبيعية الوفيرة ، مع غياب التقاليد المعوقة وسيادة روح الفردية القومية . ولم تأخذ الطبقات الاجتماعية في الولايات المتحدة أهمية ما إلا خلال العقود الثلاثة الماضية فقط ، ومع ذلك يمكن القول بوجود نقص في التوصل إلى المعيار الأكثر وثوقاً لتحديد الطبقة الاجتماعية وتعريفها يكون موضع اقتناع وملاءمة لكل أغراض التحليل .

ولقد قدم فريق وارنر - في هذا المجال - ثلاثة مفاهيم عن الطبقة الاجتماعية على أساس أن الطبقة تعنى « وجود مجموعتين أو أكثر من الناس الذين يؤمنون بالطبقة ، ويرتبون أوضاعاً متفوقة أو تابعة اجتماعياً وفقاً لها ^(١) » . وأن الطبقة الاجتماعية إن هي إلا جماعة كبيرة من الناس يألف أفرادها الاقتراب الاجتماعى Social Access من

1. Warner, W. Lloyd and Lunt, Paul S., "The Social Life of A Modern Community (Yale, 1941), p. 82.

بعضهم البعض . وتتكون الطبقة من عائلات وعصبيات ، كما
يتكون بغيانها من العلاقات المتبادلة بين هذه العائلات والعصبيات
في أنواع النشاط غير الرسمي مثل تبادل الزيارات وإقامة الحفلات
المراقبة والاستقبالات وغير ذلك من الأنشطة غير الرسمية الأكثر
انساء^(١) .

يبد أن ميردال انتقد هذا التعريف لأنه يؤكد أكثر من
اللازم على دور العلاقات الاجتماعية البهجة التي لا تكون كافية إذا
ما عولجت بمعايير أخرى . ومؤدى هذا الرأي أن « الطبقات »
والاختلافات الطبقية في أمريكا موجودة نتيجة القيود على المنافسة
الحرة ، وبالتالي نتيجة لنقص التسكامل الاجتماعي التام^(٢) . ويرى
أن الطبقات العليا تتمتع بمزايا معينة ، لأن الطبقات الدنيا تفقد
نشاطاتها بمجموعة من الاحتكارات الاجتماعية المطلقة أو النسبية .
ويقول في هذا الشأن : « إن زيادة الاهتمام بخلفية العائلة دون غيره
من المزايا أو بالإضافة إليه ، يعد نوعاً من الإحتكار وسبباً رئيسياً

1. Davis, Allison W. and Doilard, John, "Children of Bondage"
(ACE, 1940), p. 13.

2. Myrdal, Op. cit., pp. 673-674.

يعتوق عليه مدى التقارب أو الجمود في النظام الطبقي . بالإضافة إلى أن ملكية الثروة والدخل القومي - كلها أسباب أخرى للاحتكارات إذا لم يكن التعليم ديمقراطياً تماماً ، وإذا كان شغل المناصب في النظام المرمي الوظيفي بغير طريق الجدارة والاستحقاق وحده . وفي ضوء عدم تكافؤ الفرص في الحصول على وظيفة ما ، وطالما أن المراكز الوظيفية تقدم دخولا لا تكاد تناسب مع ما يرتبط بها من مهل ، فإنه يمكن تحديد الطبقة الاجتماعية تقريبا على أساس أن الدخل أو الوظيفة من المؤشرات الرئيسية لوجود الاحتكار الاجتماعي^(١) .

وبناء على هذا ، فإنه بينما يجعل ميردال الدخل والوظيفة هما المعيارين الرئيسيين للطبقة الاجتماعية ، يفترض فريش وارنر إلى الطبقة الاجتماعية على أساس « المشاركة العامة للأفراد في الجماعات غير الاقتصادية » أو في الجماعة الاقتصادية « كجماعة كبيرة غير رسمية يتصرف أفرادها بطريقة متشابهة في ضوء عوامل إقتصادية معينة كالمال والمهنة^(٢) .

1. Myrdal, Ibid., p. 674.

2. Davis, Allison W. and Gardner, M.R., "Deep South" (University of Chicago Press, 1941), p. 237.

ويؤكد كوكس أنه « ليس هناك ما يمكن اعتباره طبقة اجتماعية بالمعنى الموضوعي » بحيث يمكن تحديدها تحديداً مادياً . وبالتالي لا يوجد تدرج هرمي متعارف عليه للطبقة الاجتماعية في النظم الطبقية الخاصة بالحضارة الغربية . وهو يؤمن بنظام الطوائف كأحد أسس الطبقة الاجتماعية ، وإن كان يرى أن الطبقات الاجتماعية غير منتظمة للوضع الاجتماعى بصورة متواصلة ، وأن هذا النظام عبارة عن حالة اجتماعية مستمرة اجتماعياً فقط أو هو درجة زيادة أو نقص ترتب وفقاً لها الأغراض الجزئية لأصوغ القائمة . وبمعتبر كوكس أن تعريف فوبق وارنر القائل بأن الطبقة « هى الجماعة الأكبر من الفاس التى يقتارب أفرادها بألفه مع بعضهم البعض » تعريف مبهم . وأنه يكون أكثر جدوى محاولة تحديد من أين تبدأ السماء عن محاولة مسايرة هذا التعريف لتحديد الطبقات الاجتماعية فى مدينة مثل مدينة شيكاغو على سبيل المثال . ويرى كوكس أنه من المفيد لأغراض التحليل تتبع فكرة مطبقة بالفعل عما هو مقصود من كلمات طبقة عليها أو متوسطة أو منخفضة .

وتقدم أغلب الدراسات عن الطبقات الاجتماعية تقسيمات

فرعية لنماذج من الطبقات الثلاث . ولكن بصرف النظر عن عدد الطبقات الاجتماعية الذى يستخدم لفرض معين ، بلا حظ أنها دائما متداخلة . فالطبقات الاجتماعية تتشابه فى عضويتها فنتيجة لوجود أفراد يشتركون دائما فى إيجاد تآلف من طبقتين وهؤلاء الأشخاص الذين يمتازون بالحركة هم أفراد يفتنون إلى عالمين اجتماعيين مختلفين وغالبا ما يكون لانتاج زواج مختلط الطبقة جعل آباءهم يعرضونهم لنماذج متصارعة من الممارسة الطبقة . وهناك عدد كبير نسبيا من هؤلاء الأشخاص الذين يقسمون بالحركة الاجتماعية فى المجتمع الأمريكى الأبيض والزنجى على السواء والذين « ينظرون إلى أعلى وإلى أسفل وفى النظام الطبقي فى وقت واحد »^(١).

ويلاحظ . بنيت وتومين أن « هناك خطرا مستمرا نتيجة الخلط بين الوجود التحليلي والمخطيطى ، وبين النظام الواقعى للعلاقات الاجتماعية ، وأن (الوضع الأفقى) للفوارق الاجتماعية - وإن كان مفيداً للغاية - إلا أنه مجرد فكرة وهمية^(٢) » .

ولذلك فمن نرى أن الطبقات الاجتماعية ليست كيانات

1. Davis and Dollard, Op. cit., p. 14.

2. Bennett and Tumin, Op. cit., p. 491.

مستقلة ، بل هي مكونات أو أدوات مفيدة للتحليل النفسى . ولذلك يكون من المفيد من الناحية التحليلية - التمييز بين « الطبقة » بالمعنى الاقتصادى البحت ، و « الطبقة الاجتماعية » بمعنى الهيبة أو الاحترام Prestige ، و « الحزب » بمعنى اكتساب القوة الاجتماعية . وتشير الطبقة الاجتماعية في مجال البحث إلى الجماعة ذات الإحترام والنفوذ ، أى هي جماعة الناس ذات الموقف المحدد في الحياة طبقا لترتيب الهرمى ^(١) .

(١) يعرف ماكس فيبر « الطبقات » بأنها : « جماعات من الناس يكون لها نفس الوضع الاقتصادى » . وأنه بالنسبة للجماعة ذات المركز والاحترام — أى الطبقة الاجتماعية — فإن المركز الاجتماعى هو « صفة تؤكد وجود الشرف والتبجيل الاجتماعية أو الانتقار إلى وجودهما . وهو من الشروط الأساسية ويتم التعبير عنه من خلال أسلوب خاص في الحياة » .

وتتجه الأحزاب — في نظر فيبر للحصول على القوة الاجتماعية أى نحو التأثير على تصرفات الجماهير . وهنا يذكر جوردن أن العلاقة بين الفوارق الاجتماعية للجماعة الإنسية وبين ترتيب وتدرج الطبقات الاجتماعية أمر صعب سواء عند تحديد المفهوم أو عند الدراسة العملية . ويقول في ذلك : « لأبد من فصل النظامين من الناحية المفاهيمية لأنه بدون ذلك لا يمكن اكتشاف طبيعة العلاقات المتبادلة . وقد دخلت المشكلة من الناحية العملية في نطاق البحث العلمى ، وذلك بتحليل النظام الطبقي لجماعات الزنجرية بطريقة منفصلة ، ولكنها تشمل أفرادا من جماعة سلالية أو عرقية أخرى موجودة في النظام الطبقي الأمريكى . على أنه في الواقع تختلف طبيعة علاقة الزوج بالنظام الطبقي الأمريكى — في الدرجة وليست في النوع — من علاقة الجماعات الإنسية الأخرى الموجودة في هذا النظام .

ويكون لدى أفراد الجماعات التي تتمتع بالهيبة والنفوذ سواء في جماعات الأثرية أو في الأقليات وعلى مركزهم الاجتماعي وبأن الطبقة الاجتماعية ترتبط « بالهدف من الحياة » (أى المجالات المفتوحة أمام من يقوم الفرد بالزواج منه ، وحالة الأمن التي يسعى إليها ، وفرض تحسين المركز العام للمرء الخ ..)

والآن ما هي دلالة الطبقة الاجتماعية وأثر الجماعة الإثنية على حياة أفراد الأقلية في المجتمع الأمريكي ؟

يختلف التحديد العرقي باختلاف الطبقة الاجتماعية . فيفترض ريسمان Reissman, L. أن عضو الطبقة الدنيا من الزنوج يكون أكثر استعدادا لتحديد ماهيته وهويته الشخصية على أساس عرقى منذ البداية ، بحيث يجعل التحديد على أساس طبقي مسألة ثانوية . ولكن يلاحظ أن عمليات تحديد الشخصية القائم على العنصر أو الطبقة ليست عمليات جامدة ، إذ تتداخل معها اعتبارات التقدير الفردى لشخصية أو لآخرى وفقا للموقف الراهن الذي يجد المرء فيه

نفسه^(١) . ويمكن القول بأن الزنجي الذي يقطن بالمدينة ويعمل في مهنة وضيعة أو متخلفة ، يعتبر نفسه منفصلا عن المجتمع مثله في ذلك مثل الزنجي القاطن بالريف^(٢)

وتعرض الأبحاث الحديثة الخاصة بالقيم الدافعة Motivated Values والتطلعات من حيث علاقاتها بالطبقة الاجتماعية لدراسة العلاقات الإنثوية العنصرية . فيستخلص هيمان Hyman أن الوقائع توضح « وجود إنخفاض في السكافح من أجل تحقيق النجاح بين الطبقات الدنيا والافتقار إلى اهتمام الفرص والتعليم الراقى وإنباع السبل للوصول إلى مركز دولي^(٣) » . ويستحث أطفال الطبقة

1. Reissman, Leonard, "Class in American Society", (The Free Press, 1951), p. 284.

ويقول ريسمان أنه حيث توجد عداوة عنصرية شديدة ، فلا بد من تحديد هوية الأفراد وهم يجبرون على هذا التحديد القائم على العنصر بأكثر مما هو قائم على أي معيار آخر ، فثلا بالنسبة لما وصف الاندماج بمدارس الجنوب ، يمد الأصل قبل الطبقة موضع تحديد الهوية الاجتماعية حاليا .

2. Killian, Lewis M. and Grigg, Charles M., "Urbanism, Race and Anomia", AJS, May, 1962, pp. 663-665.

3. Hyman, Herbert H., "The Value Systems of Different Classes: A Social psychological Contribution to the Analysis of Statifica-

المتوسطة على النضال للحصول على أوضاع تعليمية ووظيفية عالية ،
بما يخلق فيهم روح الطموح ، وأن يكونوا قابليين من الفاحية الحضارية
للعناية والتجديد حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم^(١) .

ويرى كورنهاوزر Kornhauser, R. أن الفضال من أجل
الحصول على الاحترام والمسكاة بين أفراد الطبقة المتوسطة ، يماثل
ما ينجم عن القلق خشية ضياع المركز الحالى والفشل فى الحصول على
المسكاسب التى تحققها القدرة على الترقى^(٢) .

tion". In Bendix and Lipset (eds). op. cit., p. 438.

ويشير روتيش إلى « أن الاتجاه فى مدارسنا حاليا يميل غالبا نحو قيم الطبقة
المتوسطة وأسلوبها فى الحياة والتي تكون أحيانا بلا معنى مادى مدوس عند طفل
الطبقة الدنيا - أنظر :

Deutsch, M., "Minority Groups and Class Status as Related to
Social and personality Factors in Scholastic Achievement", Society
for Applied Anthropology, Monography No. 2., 1960., p. 28.

ويقرر كلارك أن طفل الطبقة العاملة « يكره المدرسة » أنظر :

Clark, Kenneth B. "Clash of Culutres in the class room integrate
Education" (IE) Aug., 1963, p. 8.

1. Davis, Allison, "Socialization and Adolescent personality", In: New
Comb Theodore and Hartley, Eugene L. (eds.), Readings in Social
psychology (Holt, Rinehart and Winston, 1947), p. 105.
2. Kornhauser, Ruth R., "The Warner Approach to Social Stratifica-
tion". In Bendix, Reinhard Lipset, Seymour M., "Social Mobility in
Industrial Society" (Univrsty of California Press, 1929), p. 242.

ولقد استطاع اثنان من الكتاب في دراسة لهما أن يتوصلا إلى أن الزوج والبيض قابلان للتمايز أو الاختلاف تبعاً لـ « بعض الأهداف الشخصية وما تعبر عنه قيمهم ». وعلى خلاف الدراسات السابقة ، توضع دراستهما أن الشباب الزوجي لا يبحث عن أهداف خيالية ، وأنه يتجه إلى تذليل العقبات التي تواجهه . ويستخلص المؤلفان من ذلك أن الشباب الزوجي اليوم - وبخاصة شباب المدن ذوى الخبرة العلمية والتهجية العالية - هم أكثر إصراراً وإدراكاً وأكثر تطلعا للاستفادة من المواهب والمهارات التي كان لمعلمهم الفضل في توصيلهم لإدراكها عما كان عليه أجدادهم قبل الحرب العالمية الثانية .

وينصب اهتمام الباحثين من الزوج على وضع حد للتفرقة ، وينظرون إلى المستقبل بتفاؤل^(١) . وتستند نتائج هذه الدراسة إلى طبيعته العينة المأخوذة والإقليم الذي جرت فيه الدراسة من ناحية ،

-
1. Lott, A.J. and Lott, B.E., "Negro and White Youth : A psychological Study in A Broder-State Community". (Holt, Reinhart and Winston, 1963), pp. 149-163.

وإلى السكافاح الجديد للزواج وبخاصه بين الشباب فى جميع أنحاء الولايات المتحدة من ناحية أخرى .

أهمية الطبقات الاجتماعية فى دراسة الجماعات الإثنية :

من المفيد حقا دراسته الفوارق الاجتماعية بالولايات المتحدة فى ضوء الطبقات الاجتماعية التى تختلف من « مدة جوارب » ، نتيجة الاختلافات العرقية والثقافية والإقليمية ، وذلك بدلا من تطبيق المفهوم الطائفى الذى سبقت الإشارة إليه . ولكن حسبما يرى وارنر ، فإن هناك القليل من النتائج المستخلصة مع ملاحظة أن حالة النظام القائم ووضعه يؤثران وبخطمان أسلوب حياة الناس بدرجة كبيرة .

وتبدو أهمية الطبقات الاجتماعية فى دراسة الجماعات العرقية والإثنية على النحو التالى :

أولا : يؤثر الوضع الطبقي على تطور الشخصية لدى أفراد الأقليات العنصرية والإثنية . ولقد أوضحت الدراسات المختلفة أن لوضع الطبقة الاجتماعية القائم على العنصر أو العرق ، سواء فى المجتمع الأكبر أو داخل « العالم الاجتماعى » المنفصل بشكل أو بآخر من

الناحية العرقية أو الثقافية — أن لهذا الموقف آثار واضحة لا لبس فيها على تشكيل الشخصية .

ثانياً : يسهم التحليل الطبقي في إدراك تنظيمات الجماعات العرقية والثقافية وأنواع سلوكها . ويؤدي الاهتمام بتوزيع الزنوج والسلالات في كل أجزاء البنيان الاجتماعى ، والاهتمام بالاختلاف داخل جماعه الأقلية ، إلى إلقاء الضوء على المؤسسات الاجتماعية التابعة جزئياً على الأقل بالنسبة للمجتمع المعزول عصبياً ، وعلى أنواع السلوك المختلفة للأفراد مثل العدوان ، والخوف ، والعزلة ، والتعويض وغيرها من أنواع السلوك الفردى في المجتمع . ولا يمكن - في الواقع - تفهم حياة الجماعات إلا بربطها بأوضاعها المتنوعة داخل البنيان الطبقي .

ثالثاً : يفيد التحليل الطبقي في توقع السلوك حيال موقف معين يتعلق بالعلاقات العرقية . إن كل موقف اجتماعى يحمل في طياته مجموعة من المزايا والالتزامات وعلى الرغم من ندرة هذا النموذج عندما يتحول إلى سلوك فسلوى بصورة كاملة ، إلا أنه يؤثر - بلا

جدال - على التصرف^(١) . ويتعلم المرء في طفولته شيئا عن توقعات الآخرين من خلال ذنائه العامة والمتخصصة عمن يشغلون مراكز اجتماعية بما تحتويه من أوضاع عرقية . ولا ريب أن الاختلافات الكثيرة في طريقة شغل مركز ما ، نادرا ما تصل إلى حد عدم إمكانية التنبؤ بدقة كبيرة - حتى بالنسبة لغير علماء النفس الاجتماعى - برودود الفعل لدى الآخرين . ويتركز اهتمام هذه الدراسة على السلوك الخاص بأفراد الجماعات العنصرية والمثاقافية المختلفة ، وكذلك الاهتمام بإمكانيات أو احتمالات تغير السلوك في مثل هذا الموقف .

رابعا : يوضح التحليل الطبقي اختلاف المزايا الاجتماعية طبقا للوضع الاجتماعى . ومن المشكوك فيه أن الإلتواء إلى جماعات عنصرية أو سلالية أو دينية يكون معيارا أساسيا أو دقيقا للوضع القائم بنظام الفوارق الاجتماعية ، فليس هناك من سبب للزعم بأن أفرادا من جماعات عرقية أو إثنية و دينية معينة داخل المجتمع لا يستطيعون القيام بأى دور اجتماعى فى هذا المجتمع . وطبقا لهذا

-
1. Linton, Ralph, "The Study of Man" (Appelton Century, Crofts, 1936), p. 253. And Merton, Robert K., "Social Theory and Social Structure", rev. ed. (The Free Press, 1957), pp. 195-197.

الرأى ، يعد وضع جماعة الأقلية معيارا ثانويا يختلف - مثلا - عن معيار الثروة عند تحديد الدور الوظيفى ، وبالتالي عند تحديد مركز الفرد فى نظام الفوارق الاجتماعية^(١) . إن البحث فى العلاقات العرقية والسلالية يوضح - بصفة عامة - وجود علاقات محددة بين الأوضاع الطبقيّة لأفراد الأقليات وبين أمور معينة مثل معدل العمر ، ومقدار التعليم ، وتأثير البيئة المحيطة ، ودرجه الأمان الاقتصادى ، والعلاقة بالهياث ذات النفوذ الأضعف الخ ..

خامسا : يساعد التحليل الطبقي على تحديد مدى إندماج الأقليات المنصريّة والثقافية أو ذوبانها فى حياة المجتمع . وطبقا لرأى بيرسونز persons ، فإنه من المتوقع أن تنخفض الأهمية الإثنية عند تعديل نظام الفوارق فى المجتمع الأمريكى^(٢) . ومن الصعوبة بمكان تحديد المدى الذى يسكن عنده حدوث هذا التطور بالفعل . وإن كان من الجلى أن درجة الإندماج ومعدله (بمعنى الحقوق المدنية

1. Barber, Bernard, "Social Stratification" (Harcourt, Brace and World, 1957).

2. Persons, Talbott, "A Revised Analytical Approach to the Theory of Social Stratification", In Bendix and Lipset (eds.), Op. Cit., p. 118.

المساوية بدرجة أكبر أو أقل بما في ذلك المزايا الاقتصادية والتعليمية ونموذج الامتصاص (بمعنى القبول العام في جميع نواحي حياة المجتمع) مختلفان اختلافًا يفا من جماعة أقلية إلى أخرى . ولقد اندمج الزواج داخل المجتمع الأمريكي بسرعة أقل من شعوب الأقليات الأخرى . كما كان الذين يؤيدون دعواهم أكثر بطئًا وعدم انتظام إلى حد بعيد^(١)

1. Kahl, Joseph, "American Class Structure" (Holt Reinhort Winston, 1927), pp. 247-248.

ويقول Kahl أن « ديناميكية متغيرات الفوارق الاجتماعية أسرع بعمالة لامتصاص السلالات البيضاء ، بينما عملت بوسائل معاكسة عند لامتصاص الزواج . ذلك أن المتغيرات الاقتصادية قد حسنت من أوضاع الزواج ، بينما أدى تفاعل المتغيرات إلى وقف هذا التحسن لصالحهم . وبشير ويلسون Wilson إلى أن مدى صلاحية الزواج كانت وما تزال عقبة تحول دون لامتصاصهم داخل الأمة . ويضيف أن الزنجى لا يستطيع ببساطة أن « يبيع » القبول أو الموافقة كما يباعه غيره . ولكن رغم ذلك وبعد الحرب الأمريكية ، فإن الرضاء قد مكّنه من تجنب كثير من المشكلات التي كانت تسبب له الآلام واستطاع التغلب عليها . أنظر :

Wilson, J.Q., Negro Politics (The Free Press, 1960), pp. 308-309.

المراجع

أولا : مرجع باللغة الأجنبية

(أ) مراجع عامة :

1. **Ackerman, Nathan and Johada, Morie, Anti-Semetism and Emotional Disorder** (New York : Harper, & Row, 1950).
2. **Alport, Gordon W., "The Nature of Prejudice" Readings Mass** New York : Addison Wasely, 1954).
3. **Baer, Gabriel J. "Population and Society in the Arab East" (London: Routledge & Kegan Paul, 1964).**
4. **Bailey, H.A. Jr. (ed.) "Negro Politics in America (Colombus, Ohio: Charles Merriel, 1967).**
5. **Barber, Bernard, "Social Stratification" (Harcourt Brace and World, 1957).**
6. **Barron, Milton L. (ed.), "Minorities in A Changing World (New York : Alfred A. Knoph, 1967).**
7. **Berge, Pierre L. Vanden, "Race and Racism — A Comparative Perspective" (New York, London, Syndney : John Wiley & Sons, Inc., 1967).**
8. **Berger, Morroe, "The Arab World To-day" (New York : Doubleday, 1964).**

9. Blalock, Jr. Hurbert M., "Causal Inferences in Non-Experimental Research (Chapell Hall : Univ. of North Carolina Press, 1964).
10. ———, "Towards A Theory of Minority Group Relations (New York, London, Sydney : John Wiley & Sons Inc., 1967).
11. Brown, R., "Explanation in Social Science (Chicago : Aldine, 1968).
12. Claude, Inis, 'National Minorities. An International Problem" (Cambridge : Mass, 1955).
13. Cox, Oliver G., "Caste, Class and Race" (New York : Doubleday, 1948).
14. Davis, Allison W. and Gardner, M.R., "Deep South" (Chicago : Univ. of Chicago press, 1941.
15. Edgar, Litt, "Beyond Pluralism - Ethic politics in America" (USA: Scott, Foresman & Co., 1970).
16. Finkle, J.L. and Gable, R.W. (eds), "Political Development and Social Change (New York : John Wiley, 1966).
17. Glazer, Nathan and Moynihan, Daneil Patrick, "Beyond the Melting-pot" (Massachusetts: The M.I.T. press Massacausetts Institute of Technotogy, 1966).

18. Green, Arnold, "Sociology" (New York, 1936).
19. Handlin, Oscar (ed.), "Immigration As A Factor In American History" (Englewood : Prentice-Hall, 1959).
20. Horace M. Kallen, "Cultural Pluralism and the American Idea" (Univ. of Pennsylvania Press, 1956).
21. Hourani, Albert, "Minorities in the Arab World" (London, Oxford Univ. Press, 1947).
22. Janowsky, Oscar "Nationalities and National Minorities" (London: Macmillan, 1945)
23. Kahl, Joseph, "American Class Structure" (Holt : Reinhardt and Winston, 1927).
24. Linton, Ralph (ed.) "The Science of Man in the World Crisis" (Colombia, 1945).
25. Litt, Edgar, "Beyond Pluralism - Ethnic Politics in America" (USA: Scott, Foresman, 1976)
26. Lott, A.J. and Lott, B.E., "Negro and White Youth" (Holt: Reinhardt and Winston, 1965).

- 27.. Locke, Alaine and Stern, B.J. (eds.), "When people Meet" (New York : Hinds, Hayden, Eldredge, 1946).
28. Macartney, C.A., "National States and National Minorities" (London: Oxford, 1934).
29. Mendelson, W., "Discrimination : Based on the Reports of the US Commission on Civil Rights (U.S.A. : Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1962).
30. Merton, Robert K., "Social Theory and Social Structure" rev. ed. (New York : The Free Press, 1957).
31. Milton, Jr. and Wise, David, "Democracy Under Pressure. An Introduction to the American Political Ssystem (New York, Chicago, San Francisco, Atlanta : Harcourt, Brace Jovanovich Inc., 1971).
32. Myrdal, Gunnar, An American Dilemma (London : Harper and Row, 1944).
33. Reissman, Leonard, "Class in American Society" (New York : The Free Press, 1951).
34. Schermerhorn, R.A. "These Our people. Minorities in American Culture" (Boston, 1940).
35. Segal, B.E. (ed.) "Racial and Ehnice Relations" — Selected Readings: Minorities" (New York : Evanston, 1965).

36. Simpson, George Eaton and Yinger, Milton, "Racial and Cultural Minorities" (New York : Evanition, 1965).
37. Stouffer, Sammuel, "Communism, Conformity and Civil Liberities" (N.Y. : Garden City, Doubleday, 1955).
38. Sydney, Collins, "Coloured Minorities in Britain", (London, 1947).
39. Tunkin, Grigory, "Contemporary International Law (Moscow : Progress publishers, 1969).
40. Wagley, Charles and Harris, Marvin, "Minorities in the New World" (Colombia, 1958).
41. Warner, W. Lloyd and Paul S., "The Social Life of A Modern Community (Yale, 1941).
42. Wheeler, Goeffrey, "Racial problems in Soviet Muslim Asia" (London: : Oxford, 1962).
43. Williams, Cary Mc., "A Mask for previlage : Anti-Semitism in America (Boston : Little Brown, 1948).
44. ———, "Brother Under the Skin." rev. ed. (Boston : Little Brown, 1951).
45. Williams, Robin Jr., "The Reduction of Inter-group Tensions" The Social Science Research Council, 1947.
46. Wilson, J.Q., "Negro Politics" (The Free Press, 1960).

ثانياً : المراجع العربية

- ١ — أحمد شلبى :مقارنة الأديان — قسم الأديان السماوية ، الجزء الثالث : الاسلام (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١) .
- ٢ — بطرس بطرس غالى : الأقليات وحقوق الانسان فى الفقه الدولى « (مجلة السياسة الدولية . عدد ٣٩ ، يناير ١٩٧٥)
- ٣ — ساطع الحصرى : أبحاث مختارة فى القومية العربية (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٤)
- ٤ — ————— ما هى القومية العربية (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٩)
- ٥ — سيدة إسماعيل الكاشف : مصر فى عهد الولاة من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية)
- ٦ — شامير : الاتحاد الراسخ بين الجمهوريات للسوفيتية ، ترجمة محمد الجندى (موسكو ، دار التقطم)
- ٧ — طمية الجرف : أبحاث فى المجتمع العربى — القومية العربية والتطور السياسى للمجتمع العربى (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٥ / ٦٤) .

- ٨ — علي أحمد عبد القادر : « دراسة في منهجية بحوث الأقليات » (مجلة مصر
المعاصرة — عدد ٣٥٥ ، يناير ١٩٧٤) .
- ٩ — عبد الرحمن البراز : بحوث القومية العربية (القاهرة : معهد الدراسات
العربية ، ١٩٦١) .
- ١٠ — ف. أ. لينين : في السياسة الخارجية للدولة السوفيتية ، ترجمة أحمد فؤاد بابع
(القاهرة : مكتبة دار الشرق ، ١٩٧٣)
- ١١ — فردريك هرتز : القومية في التاريخ والسياسة ، ترجمة عبد الكريم أحمد
(القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨)
- ١٢ — فؤاد الحمود : وميض من وراء السديم — مقالات الامام حسن البنا ،
شرح وتجميع وتعليق (الكويت : مكتبة المنار ، ١٩٧٣)

فهرست

الصفحة

الموضوع

٣	استهلال
٧	تقدمة

الفصل الأول

الفاعيم الخاصة بالملاقات بين الأكرية والأقلية

للبحث الأول

١٧	التعامل
----	---------

للبحث الثاني

٢٧	صراع الجماعة وتوترها
----	----------------------

للبحث الثالث

٣٠	التفرقة
٤٠	الاضطهاد أو التمييز المنصري

الفصل الثاني

أساليب التعامل التبادلة بين الأكرية والأقلية

الصفحة

الموضوع

المبحث الأول

٤٥ معاملة الأقلية للأغلبية

المبحث الثاني

٥٣ معاملة الأغلبية للأقلية

الفصل الثالث

أسباب وجود الأقليات وتطورها

٧٥ الجذور التاريخية للأقليات

٨١ العوامل التي ساعدت على تكوين ظاهرة حماية حقوق الأقليات

الفصل الرابع

وجهات النظر المختلفة بشأن علاقة الأكثرية بالأقلية

المبحث الأول

٩٧ موقف الفكر الإسلامي من الأقليات

المبحث الثاني

١١٠ موقف الأقليات في الفكر الغربي

المبحث الثالث

١١٦ موقف الأقليات في الفكر الماركسي

الفصل الخامس

السلطة السياسية والاجتماعية في مجتمعات الاقلية

(المجتمعات الزنجرية الامريكية - نموذج)

المبحث الاول

تطور الاسس الايديولوجية للعلاقات التفاعلة بين الاقليات والمجتمع

الامريكي ١٢٩

المبحث الثاني

التفاعل بين الاوضاع اجتماعية للاقليات والحياة السياسية بالمجتمع . ١٥١

١ - الطائفة ١٥٢

٢ - نظام الطبقة الاجتماعية ١٦٠

المراجع

١ - المراجع الاجنبية ١٧٧

٢ - المراجع العربية ١٨٢

مُصَوِّب

الصفحة	صواب	خطأ
٢٧	إصطال	إصطال
٣٦	الجزءات	الجزءات
٤١	الزئوج	الزئوج
٦٠	أية محاولة للاستقلال	أية الاستقلال
٦٠	اتباع	اتباع
٧٣	الكثير من	الكثير
١١٩	انتقادية	انتقادية
١٣٧	على أنهم دخلاء	خلاء
١٤٢	التمدد	التبني ومن
١٤٢	الحديث	لحديث
١٤٧	النية تبيح فرجة	النية رغبة
١٤٧	سياسة	سياسة
١٥٩	تأرجح	تأرجح

هذه هي رقم (١)